

نصير

إليك وحدك أيها القارئ، يجب أن نتوجه بالشناء والتقدير ، ونحن نقدم بين يديك هذا العدد الثاني كما عاهدناك ، وبفضل ما وجدنا منك من المؤازرة والجد والثقة .

نشئ عليك لأنك حالما مسست منا عزيمة العودة الى الصلور - بعد الكبوة التي تعرضت اليها جهود نادينا واصابتنا في المجلة على غير اختيار منا - بادرت الى وضع كل ثقلك معنا ، ومدتها يدا حفية كريمة ، وذهب الحماس بك أيها القارئ الى درجة أن فككت من أيدينا مقتطعات الاشتراكات وطلعت بها محاولا أن تقاسمنا شرف النضال من أجل الكلمة .. وفي سبيل استمرار رسالتنا الحضارية البديعة .. كان حماسك في هذا المضمار أثمن من أن يقدر ، وكان شعورك بعبء الاخفاق الجزئي الذي نال من فورة الاندفاع التي عرف بها نادى القصة فوق التصور .. وحين ظن الجميع بأن عمر المجلات التونسية كعمر الزهور : أيام من التالق ثم يعقبها انطفاء وذبول ، ظهرت أنت في الساحة لتقول بلغة الارقام ، وبلسان صدق بين : تلك خرافة قديمة .. فعمر المجلات في هذا الربع الاخير من القرن العشرين يرتبط ارتباطا وثيقا بمدى قدرة الانسان على مماشاة العصر والتطور .

نشئ عليك أيها القارئ، لأنك سفهت أحلام البعض ممن سولت لهم نفوسهم أن يتوهموا بأن لا أمل في عودة هذه المجلة الى الحياة ، وما كانوا في حقيقة أمرهم يريدون الطعن في أقالمنا بقدر ما كان حكمهم ينطوي على الأزدراء منك أنت بالذات ، فهل نعتبر كل هذا التقدير الذي وجدته المجلة منك - وتؤمل أن يتضاعف مع الأيام - هو الكلمة الفصل التي وضعت بها حدا لتلك الاباطيل ؟

لهذا وحده فنحن فخورون بأن نتوجه اليك بالتقدير الذى انت
اهل له .. معترزين بما وصلنا من رسائلك التى هئتنا فيها
بالعودة ، وأثلت فيها تاريخ العلاقة التى كادت تذهب بحدادها
بيننا وبينك .

إننا الآن أوفر حظا ، وأكثر استعدادا لأن نكتب اليك ، وإن
نعيد - من جديد - الكتابة ذلك الميثاق الذى أرادوا طمس معانيه ،
وأن نرفع كل تلك الجسور المقطوعة لنشاركك بناء الحضارة العربية
الزدهرة التى نعتبر الكلمة الصادقة النبيلة هى إحدى لبناتها
الرواسى ، فهذه المجلة وهى الصوت المنفرد على امتداد الوطن
العربى مغربا ومشرقاً هى كتاب مفتوح لكل المبدعين من البلاد
العربية ترحب بدراساتهم وقصصهم ورواياتهم وترجماتهم كما
فعلت فى الحلقات الماضية .

فاليك وحدك أيها القارىء يجب أن نسر مرة أخرى بأننا ممثلون
فخارا .. لا لأنك كنت عند حسن الظن فقط ، ولا لأنك رفضت
قاماتنا أشبارا وأشبارا وأثبتت عن همة لا تعادلها إلا همم المقبلين
على صنع التاريخ الحديث والحضارة الجديدة فقط .. نسر اليك بهذا
الفخر لسبب وحيد هو أنك حاولت - قدر الامكان - أن تعوضنا
بهذا الحماس خسارة ثمانين مليما نضعها من جيوبنا فوق كل ععد
تشريه أنت من جيبك لأن رسالة هذا النادى لم تكن تهدف الى ربح
مادى او تجارة رابحة فى عرف النشر العادى .

ولهذا نقول لك فى الختام : ضاعف من إقبالك ومواكبتك لهذه
المجلة ، لأن تلك الحسارة تروقنا جيدا خصوصا اذا أضفنا اليها
جهود أعلامنا ، لأن النتيجة هى أن يكسب الوطن ، وتكسب الامة ،
وتزدهر الحضارة التى نريد .

« قصص »

محمد حمزة ربيع الطوبى

أكونى وكفساد

لم أدر كيف أبدأ القصة !! كان كل ما فيها يدعو الى البدء ... وضعت قلمى مسامتا لسيجارة على وشك الانتهاء .. حسوت جرعتين من قهوة مرة .. دقت النظر فيما حولى .. كانوا كلهم يشغلون حيزهم من فراغ حسبته لا يشغل .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وعدت الى « قصتى » انتزع ما هو أولى بالبدء . وعاد كل ما فيها يدعو الى أن يكون به البدء : كل عنصر من عناصرها يصيح : أنا المقدمة ! أنا العقدة ! أنا الخاتمة !!!

وعندما أعيتنى الحيلة وضعت بالصبر صحت فى عناصر « قصتى » :
« .. لا يتقدم أى منكم الزموا أماكنكم .. اطمئنوا .. لن أكون ظالما معكم .. لاكونن ثقة عدلا .. وهل يكون الخالق غير ذلك ؟ .. سوف أضرب الأقداح والأزلام من أجلكم .. إنها عملية اقتراع أنتم مقدمون عليها .. هل فهمتم ما أعنيه بما أقوله لكم طلقا فصيحاً ؟ .. »

وحسبت نفسى قائدا فى جنده .. وترقبت الانضباط والانقياد .. لكننى لم أر شيئا .. لم أر انضباطا ولا انقيادا .. قامت كل عناصر القصة دفعة واحدة تتدافع ، تتزاحم ، تتصايح ... كنت لا أسمع أصواتا .. كانت ضجة

واحدة غير واضحة ٠٠ كانت فما واحدا مفتوح دوما ، مغلقة دوما ٠٠ ذكرتني أفواها المفتوحة بالفراخ تفتح مناقيرها املا في طعام ٠

لكن عناصر قصتي لا تترجى الطعام كما تترجى فراخ العش ، كان كل عنصر منها يدعى أولوية التقدمة ، وجدارة الظهور ٠

وعدت الى عناصر قصتي أستهديها ماذا تريد ٠ واذا هي كلها تزجر وتئن ٠ تتألم وتتوجع ٠ وخفت أن يسبب لها ازدحامها الاعتصار والاختناق ٠ وخشيت أن يحوط بها من هواء أصيب بالتعفن لكثرة ما صاحت ، وما عرقت ٠

وانعدم في ذهني أن على الاسراع بانقاذها ٠ وفي هذا الموقف ينعدم الاختيار وتمحي التقدمة ٠ ومددت أصابعي نحوها في هيئة الأخطبوط الأعظم وضمت أصابعي ، وضغطت ٠ وضغطت ٠! ٠! وتلاقت أصابعي بباطن كفي حتى كادت تنغرز فيه ٠٠٠ لم يحصل شيء بين أصابعي فعدت الى صياح الدهشة هذه المرة ٠

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

٠ ٠٠٠ أين أنت يا عناصر قصتي ٠٠٠! ٠٠٠

وكررت صياحي ٠ وأعدت ندائي ولكن! لا شيء ٠٠٠ حتى الصدى لم يتردد ٠ هل كان الحاجر معدوما ٠٠! ٠٠؟ كان الفراغ ممتدا فبقى صياحي بلا حاجر ٠ هل كنت وأهما حتى في وجود الجدار الحاجر ٠٠؟ وما معنى أن تصبح دون أن ينتهي صوتك الى حاجر أو جدار ٠٠؟ وهل أنكى عليك من فقدان حاجر الصدى ٠! ٠؟

وعدت أبحث عن عناصر قصتي ٠ واذا هي مكانها ضجة وازدحاما ٠ كانت هذه المرة يبدو عليها الاجهاد والارهاق ولو أنها ما تزال ضجة وازدحاما ٠ فعدت اليها صائحا مهيدا ٠ وعادت هي سكيئة وخنوعا ٠

قلت لها :

٠ ٠٠ إن أخطبوطي وهم ٠٠ إن أصابعي لا تقتل ٠٠ إنني بك رحيم ، يا عناصر قصتي ٠

وبان على عناصر قصتي الارتياح فعاتت الى الضجة والزحمة . وعدت اليها
لأقول :

« .. لا عودة الى الحنوع اذا مددت أصابعى لانقاذك » .

واذا هى تعود الى ما كانت عليه سكينه وخنوعا أكثر من مرتبها الاولى ،
فاغمضت عيني حتى لا أراها فى ذلة الخنوع . وتعجبت لما هى عليه من تناقض :
ازدحام على البروز ، وجبن لدى الفعل . وما كان إغماض عيني ليحول دون
رؤيتها مسكنة وذلة .. لقد استوت فى الرؤية ... استوى كونها وفسادها .
وما استوى كونه وفساده أصبح باطلا لغوا .

وتبدت لى عناصر قصتى تهغو الى كون جديد . فقلت : لأكون دون فساد .
وشمرت عن الساعد ، ونفخت . واذا العناصر تتلاشى كبخار يمر على
جحيم . وأحسست عندها بنوم الملسوع يمد يده الى العنق فأخذتني نوحه
الشكى ولوعة المفجوع . ولكنى عزمت على إصرار . أو ليست بداية الخلق
سدنيا؟! فأعدت النفخ ، وأعدت .. واذا العناصر تتراى متناثرة على أرض
يباب . فقلت :

« مهلا ، ..

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhi.com>

وأشعلت نارا سعيرا ، وتاديت :

« .. يا عناصر قصتى ..! لا بد من الطهر الطهور .. »

وارتعدت العناصر خوفا . ولكن أصابعى الأخطبوط امتدت . وطفقت
تخطف الواحد بعد الآخر فتعرضه على النار السعير فيفوج منه القنار . واذا
لعابى يسيل . واذا معدتى تهضم ما كان كظا .. وصحت فى عناصر قصتى :

« ... هيا الى الخلق من جديد .. »

وتنالت عمليات الطهر الطهور . حتى اذا تطهرت كلها من رجس الطهور ،
وعفونة الجبن كانت خلقا سويا . وعندها فقط شرعت فى البناء .

وقصة البناء تعرفها أنت اذا كنت من عشاق الكون والفساد فى بناء الهيكل
الصلب ، والجسم الفولاذ .

محمد العروسي المطوى

بيروت 1974/4/12

عبدك واحد براهمي

الألعاب



تسللت يد غليظة وسط الزحام لتمسك بمعصمي وتجذبني بحزم خارج الحلقة ، فوجئت ، أوشك قلبي أن يتوقف عن ضخ الدم الى بقية العروق ، تخشب عظم رقبتى فما استطعت رفع بصرى الى أعلى ، ولا أن أجول به فيما حولى ، كما كنت أفعل منذ لحظة ، بكثير من الرعونة والاحتياج .

نسمر ناظرى على الحذاء . لا حاجة لى مع ذلك لما يؤكد بأن القبضة التى أخرجتنى من الحلقة هى يد أبى ، وليست يد غيره . هذا حذاءه بلا ريب . حتى طريقة إمساكه بمعصمى دلتنى عليه . . . لا لأنه يستعمل لذلك طريقة خاصة . . بل لأنى شعرت بمجرد الملامسة الاولى أن هذه الاصابع التى أحاطت بزندى الصغير هى اصابع السلطة القيمة على أمرى ، تحل بشأنه ما تشاء ، وتحرم ما تشاء .

حقا إنى استبحت من الامور ، فى ذلك اليوم ، ما يستوجب فى شرع العائلة كلها ، أشد العقاب وإنكله . لم أر الشمانة فى العيون ، ولكن ما من أحد تدخل لتهوين العقوبة ، كأنما هى القضاء المبرم لا بد لنفسى أن تتحمله اذا شامت التطهر من أدران الخطيئة التى علق بها .

نسيت في فترة التوتر ونوبات الهياج - التي أصابتنى لمدة ساعات ثلاث - أن شيئا مأسويا سيحدث لي فيما بعد ، وإن قمة النشوة التي وصلت اليها ستلقى بي قبل مغرب اليوم نفسه في سديم الألم والعذاب المبرح .

عبرت بذاكرتي صورة أبي مرة أو مرتين .. وشاءت مخيلتي كذلك أن تعد « سيناريو » العودة الى المنزل ، الا أنني كنت أطرّد كل ما يعن لفكري من ذلك ، وأعود للانغماس في لحظات الجنون التي أعيشها وسط هذا الحضم من الجماهير المحتاجة المحتدة المتوترة ، كأننا يربط بينها جميعا - من طرف الملعب الى اقضاء - سالك كهربائي واحد يغذيها بنفس الشحنة ، وعلى نفس الموجة ، وب نفس الوتيرة .

②

روت الصحف في ركن « الطرائف » أن أحد سكان « ريو دي جانيرو » القى بنفسه من نافذة عمارة شاهقة احتفالا بالعودة الظاهرة لفريق الكرة البرازيلي .
اقتتل شعبان إفريقيان على صفتي نهر الكامبيرون ذات يوم من أجل مباراة في كرة القدم .
ألقت دولة « فواتيالا » بجنوب أمريكا القنابل على إحدى جاراتها لسبب مماثل .

③

غصت مدارج الملعب بالناس ، منهم أبناء بلدي ، وهم الأكثر ، وشق آخر ممن وفدوا لمناصرة الفريق الضيف . لم أقدر على الانحياز في تجربتي الاولى هذه . اهتمامي كله انصب في الفرجة على هذا الحشد الهائل من الرجال . أنا لم تنح لي رؤية مثله من قبل ، لا في أعراس أقرباننا ولا في الحفلات الشعبية التي حضرت بعضها .

على أني اندمجت بعد قليل في الصخب العام . وصرت أطوف بحرية بين معروضات الباعة الجوالين ، وأهزج ، أو أصفر ، أو أصفق ، قافزا بين المدارج ، بعد أن قضيت فترة قصيرة في انكماش بليد بأعلى أحد المدارج القصية .

لغنى جو الملعب بسهولة • هضمنى فى معدته الضخمة • وجدتنى أصرخ حين نزل افريقان الى الميدان • قصدت تشجيعهما كليهما ، لكن لما ابتدأ اللعب انحزت الى أحدهما - لا اذكر أيهما ، ولا أدري لماذا ؟ - وصرت العن كل من أخطأ ، وأحسب بتصفيقة موقعة من استحسننت لعبه •

أصابتنى العدوى بعد ، مع أن هذه زيارتى الاولى للملعب الكرة ، بل قد نزلت فى نهاية المقابلة كالهوى العريق فى زمرة المعجبين للحاق باللاعبين فى غرف الملابس • ولولا أن جماعة التنظيم ورجال الشرطة منعونا من الدخول لوجدتني مع اللاعبين تحت ماء الدوش • رغم المنع ، أصر الجميع على الوقوف أمام الباب منتظرين خروج أبطالهم المحبين اليهم • ووقفت بين سيقانهم الطويلة رافعا رأسى لالتقاط مناقشتهم وتعاليقهم الصاخبة ، وهياجهم الذى لا ينتهى • فى هذه اللحظة تدخلت يد أبى لتضع حدا لحالة الهستيريا التى كنت أعيشها ، ولتعيدنى الى عالم هادئ • كنت أزجى فيه طفولتى بتفوق كامل بين تقاليد العائلة ، وتعاليم المدرسة •

ARCHIVE ④

بلغنى هذه الايام عن إحدى عماتى أنها تبكى بكاء يوم ينهزم الفريق الذى يعشقه ابنها • أما يوم ينتصر فانها تدعو جميع جاراتها لسهرة تقدم فيها شايًا وكعكا تصنعه للمناسبة •

دعاني بعض الاصدقاء الى منزله ، ونبهنى قبل الدخول الى تحاشى الحديث عن الرياضة كيلا يفتنهما صهره العجوز فرصة لافساد مجلسنا بتعداد مناقب فريقه • يومها عرفت أن هذا الرجل يوزع تزمته بالعدل بين الايمان بربه والانصار لفريقه •

⑤

لم تعرف عنى عيوب كثيرة زمن الصبا والفتوة • ولكن كنت فضوليا بالدرجة الاولى ، ولا اظن هذا الا عيبا مشتركا لدى جميع أطفال العالم ، وان كنت لا أجترى أبدا على اقتراف ما يغضب والذى ، حتى انى كنت أتحسس ما يريده ، وما لا يريده ، قبل أن يتفوه به • إلا أنى هذه المرة أتيت - ارضاء لفضولى - ما لم آت من قبل ، ولا من بعد •

أنا لعب الرياضة في البيت وفي نادى الكشافة ، لكننى لا أفرج عليها .
 أحب كرة القدم وأنشط لها أكثر من أى لعب آخر ، لكننى لم أفرج على مقابلة
 رياضية أبدا ، ولم يكن فى هذا ما يدعو الى أى شعور بالنقص .
 أذكر من طفولتى أن الناس كانوا يوزعون اهتمامهم على أشياء جديده كثيرة ،
 وان عادة الزيارات الجماعية المنظمة للملاعب لم تستحكم بعد ، كانت مشاهدة
 الالعاب نازعا شخصيا وليست هما جماهيريا . كانت ترفيها . وليست إحنا
 ومحنا ، وخبزا يوميا .

④

يوم لا تأسر الشباب المعاهد أو المعامل .. تأسرهم الكرة والملاعب .. أو
 الملاهى والمراقص .. وفى الصيف .. السواح والشواطىء .
 يغادر الرجال كل يوم أحد مضاجعهم قبل ارتفاع الضحى . لا يطالعون
 الصحف ، لا يذهبون الى السوق ، لا يبحثون شؤون المدرسة مع أولادهم .
 لا يعتنون بالحدائق . لا يجتمعون بالمعارف والأصدقاء ، لا يتهاون للنزهة ولا
 يفكرون فيها .
 تنحشر النسوة فى المطابخ . يخرج الاطفال الى أقرب الساحات ، ينقسمون
 الى فرق ، وينهمكون فى اللعب .
 يومها لا تهاى الموائد ، لا تلتئم الأسر ، لا يزور أحد أحدا . يلتهم بعض
 الرجال ما تقع عليه الايدى من طعام ، يشتري بعضهم سندويتشا فى
 الطريق ، تشتد اللهفة ويتوتر الجو بسرعة ، يتخاصم بعض الأزواج مع
 نسائهم ، يخرج الرجال جميعا الى الملعب ، ويطبق الصمت على المدينة .

⑤

♦ كتبت صحيفة يومية فى أحد أركانها :
 « أكيد أن كرة القدم ستكون محورا من أهم محاور المستقبل ..
 وأتنبأ أن المستقبل سيظهر فيه أدب كروى .. وشعر كروى .. وغناء
 كروى .. وستسعر كرة القدم الثقافة .. فتوجهها وتخضعها وتكورها » .
 ♦ الصحيفة نفسها خاضعة للقضاء المحتوم ، وهى تخصص يوميا أربع
 صفحات للالعاب .

♦ أكثر الصحف رواجاً هي الصادرة يوم الاثنين لأنها مختصة بالالعاب الرياضية .

♦ رفض بعض أساتذة الجامعة الاشتراك في مجلة تمتعت نفسها بأنها « ثقافية رياضية » . محاولة يائسة . هل تروج اليوم صحيفة لا تكتب عن الالعاب ؟

شعرت أنى معنى بهذه الدعوة ، وأن هذه فرصتى لأرى مباراة حقيقية بين فريقين حقيقيين . ثار فضولى ، وبدأت أقوض بخيالى الحواجز التى يمكن أن تحول بينى وبين رغبتى .

أقنعت أمى بيسر أن الاعلان الذى يبدى هو دعوة شخصية سلمت لكل لكل الاطفال النجباء من مدرستنا ، ولما اشترطت أن يرافقتى والدى ، احتججت بأنه لا داعى لحرمانه من نوم القيلولة ، مطمئناً إياها بأنى سأعود قبل أن يستيقظ لصلاة العصر ، وانى سأرافق تلاميذ المدرسة . وببساطة توشك أن تكون بلاهة اعتقدت أن والدى سيقنع بالكذوبة الدعوة . أو لعله سوف لا ينتبه للأمر الا بعد عودتى ، وبذلك ينتهى كل شئ ، ولا يبقى للتحقيق معنى مبرر .

لكن يده الطويلة امتدت لتجذبني من بين السيقان . وتضعنى فى مدار اهتمامات أخرى ، بطريقة قطعية وراعدة .

⑧

عن مباريات الكرة لم أكن التلقط - قديماً - غير نبذ من أحاديث رفاق المدرسة ، يتبادلونها بلا تواتر ولا حرص ، ولا تشنج أعصاب . كنا نحب اللعب . لا الفرجة . كنا جيل الفعل . لا الجلوس على المدرج .

وخرجنا ذات يوم من المدرسة فاعترض سبيلنا موزع مناشير . ألح على تسليم كل منا نسخة من هذا الاعلان الصغير عن مباراة تقع يوم الاحد فى ملعب مدينتنا . وللتلامذة الصغار حق فى تخفيض هام على سعر الدخول .

⑨

كتاب يباع فى الاسواق ويلقى رواجاً كبيراً ، عنوانه : « لا أقدر أن أفكر وأنا أرقص » . كان بالامكان أن يكون عنوانه : « أقدر أن أفكر وأنا ألعب » .

عبد الواحد براهيم

عبد كرم حسان عمار
« ابن الراحه »

أنت زراعي و زراع وطنك يا وليدي !!

مد يده اليسرى يضع الجريدة على (الميدة) امامه . الغرفة التي جلس فيها على بنك ، كانت باردة ، هريجة . . . واتوار الاصيل الحافطة تندفق اليها من النافذة المفتوحة على الحديقة المتواضعة . هو فقط يسميها حديقة . . . انها عبارة على مدة من الارض تفصل النور الخارجي المحيط بالذار عن جدران بيوت المنزل . . . استغلها هو فزرع فيها ازهور والاشجار . ووقع نظره على البرويطة القديمة المهترئة التي تحتل زاوية في الحديقة ، فحلق فيها برهة ثم أغمض عينيه . أنسام هذه العشبة الصيفية لينة ، معطرة ، حملت اليه رائحة الماكولات من المطبخ المحاذي للغرفة التي جلس فيها ، وأوصلت الى مسمعه الاصوات المتداخلة ، المختلطة مع نغمات الموسيقى وشقشقة الكؤوس في الصالة .

حك ذقنه ، وتنهد ، ونظر الى يده اليمنى المقطوعة من الكتف . غامت عيناه ، ولكنه سرعان ما انتفض ونظر الى الجريدة امامه . . . على صفحتها المفتوحة قائمة قصيرة بتسعة اسماء . . . قرأها . . . توقف عند اسم ابنه طويلا . أحس براحة كبيرة ، وبنعاس لذيذ يشغل جفنه فيرتخي . . . وفي شبه ضباب حبيب شاهد على الكرسي امامه جمازة زيه الازرق الغامق . . .



قالت له :

— انت لا تعمل ، وانا كذلك ، فمن أين سنمول أنفسنا ؟ ابنك أحيانا يئس من الجوع .. أرهقنا وأذلنا الاقتراض من الامل ومن الجيران . وهذه « البرويطة » التي تركها أبوك ! لماذا لا تستعملها وتبيع الخضار مثله ؟ وان تكبرت عن ذلك فلماذا لا تبيعها لنستفيد من ثمنها ولو أياها ؟

تمنى لو أجابها بأنه يعمل .. ولكن عمله هذا لا يدر عليه مالا .. بل يعرضه للخطر .. هز رأسه وسكت .. أبوه — رحمه الله — ظلمه .. زوجه منها قبل أن ينضج مباشرة بعد موت أمه بستة أشهر . كان وحيدة وأراد أن يفرح به قبل أن يلتحق برفيقة العمر .. أخرجه من المدرسة وهو يستعد لاجتياز امتحان الرابعة ثانوى . قال له :

— تزوج .. هذه دارنا . إنها لك . وسأعمل لأقوم بشؤون العائلة حتى تجد أنت شغلا محترما . لا أريدك بائع خضار مثلى . ثم .. يجب أن يكون فى البيت من يطبخ لنا ويعتنى بشؤوننا .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أوشك أن يقول له :
— تزوج أنت ، ودعنى أتعلم .
ولكنه لم يقلها . نكس رأسه وقبل .

الفتت اليها . كانت جميلة ، شابة ، مغرية . عيناها عسلتان عميقتان ، قوامها أضيف على صدرها الناهد المربع .. استرخى ابنه الصغير ينظر اليه بعينين بريئتين . انه يحبها ، يحب هذه البنات منذ أن بنى بها . كان فى قرارة نفسه يحمى لأبيه تزويجه منها . هذه المتعة ... هذا الحب لا شبيه لهما . ولكن .. الوالد مات .. وهو لم يجد شغلا ، وطفله الصغير يتعذب أحيانا من الجوع . والجيران والاقارب ملوا اقتراضه منهم «حتى يفرجها ربي» . ليس فى إمكانه أن يعمل بائع خضار .. أبوه — رحمه الله — لم يرض بذلك . ولن يبيع « البرويطة » ذكرى نضال أبيه من أجل العيش الكريم . رغم مستواه الثقافى لم يجد عملا حتى الآن .. الابواب أوصدها الاجنبى فى وجه شباب البلاد .. وليس فى وسعه أيضا أن يطلب إعانة أو مساعدة من الحلية التي هو عضو فيها .



– لقد حاولوا قطع رأس القيادة الحزبية ، ولكنهم لم ولن يفلحوا • الاوامر
تصلنا باستمرار والزعيم أمر بالثورة المسلحة • سنعملكم بالتفاصيل بعد
زمن قصير •

هذه الكلمات كانت ترن في أذنه عندما دخل الدار ووجدها مستبشرة ،
مبتسمة :

– وجدت عملا •

نظر اليها باصرار وسأل :

– ما هو ؟ وأين ؟

– لا شيء ، تقريبا • اغسل ، وأنظف البيت ، واعتنى بطفليين فقط •
الطبخ تقوم به « الرومية » وحدها • المكان قريب من هنا • وأنقاضي ••
عشرة آلاف •

قال :



– وابنتا ما مصيره ؟

– سأتركه لجارتنا خالتي ادوجة • لقد رابت عددا من الاطفال وهي وحيدة
وتحبه كثيرا •

كالعادة •• رضى •• الحالة سيئة • واشتغلت الزوجة الشابة الجميلة
الجذابة عند « القاوري » عاملة بالمنزل • وبقي هو الشاب القوي • المثقف
يشرب القهوة ، ويلعب الورق في مقهى الحى ، ويحلم بثورة لم تصل الاشارة
فى الشروع فيها بعد •



وقف بباب الادارة •• كان يرتدى بلوزة تونسية بيضاء ، مشقوقة من
امام ، تضم شطريها ازرار سوداء كبيرة • وكان سرواله « الفولف » يعلو
جوربيه البنيين فى حذائه البالى نسبيا • مد يده اليمنى وهز « الشاشية »
الحمراء فمسح بها شعره واحكم وضعها • ثم تقدم الى الشاوش الواقف
امام الباب :

– سامحنى ، أريد مقابلة المسيو الفريد •

وقعت عليه عين مستهزئة ، وظهر ابتسام ساخر على شفيتين غليظتين :

— مسيو الفريد ؟ هكذا ؟ (مرة واحدة) ؟ و .. لماذا ؟

— أريده لأمر خاص .

قست نظرة الشاوش .. واحمر أنفه .. ونبر :

— مسيو الفريد مشغول .. لا يقابل ...

— اعرف ، اعرف ... هو الذى استدعانى ، وهذه بطاقته الشخصية .

مدها الى الشاوش ، فنظر فيها ، ثم قال :

— لماذا لم تقل ذلك من الاول . اجلس هنا . سأعود اليك بعد قليل .
وجلس .

ليلة أمس كان يترقبها فى المنزل . ابنه فى حضن الجارة وهو يحرق الارم .
سمع أهل الحى يعملها عند « القاورى » ، وبدأ الكلام . العجوز الجارة تحدثت
اليه . السنة السوء والجاسدون لا سيبل الى اسكاتهم ولو انقطعت . انها مسألة
« خبزة » ، يا ولدى . زوجتك مخلصه . أمينة . لا تصفى للكلام ، ولا للوشاة .
ولكنه كان مصمما ، كان مصرا على جعلها تمكث بالبيت .

ودخلت . كانت مستبشرة ، مبتسمة .. ايضا ؟ مدت إليه البطاقة قبل أن
يتكلم . قالت :

— كلمت زوجة « عرقى » بخصوصك ، وهى كلمته . هذه بطاقته ، اذهب
اليه غدا ، وسيشغلك .

نظر فى البطاقة ، ثم حدجها بعين ثاقبة وقال :

— وأنت ؟ هل ستواصلين العمل ؟ الناس !!

— سمعت ما يقول الناس ، دارى أهم عندى من كل شيء . حالما تبدأ أنت ،
سأبقى أنا فى الدار .

فى المساء ، أعلم رئيس الحلية ، فاهتم بالأمر . الفريد معروف ، مركزه
هام ، وما لديه من أسرار أهم منه . لذا ألح رئيس الحلية عليه أن يقبل
العمل ، وشجعه على مباشرة « الخدمة » عند الفريد مهما كانت الظروف .

– تفضل ، مسيو الفريد يترقبك .

وسار وراء الشاوش ، حتى دخل المكتب الواسع ، المؤثث بذوق • ونظر الى مسيو الفريد • كان جميلا ، أزرق العينين ، فى الخامسة والثلاثين تقريبا ، زاده الزى العسكري الانيق هيبة وروعة •

قال الفريد :

– آه ، انت • • المدام ، حدثت زوجتى عنك • زوجتك لا بأس بها •
أحس هو بوخزة فى قلبه • وبصوت بارد شكر الفريد الذى واصل :

– المدام قالت لزوجتى عندكما طفل صغير • أنا أحب الاطفال • هات أوراقك • سأعينك ما فى ذلك شك •

مد اليه أوراقه • ونظر الفريد فيها ، وظل هو ينظر الى الفريد طويلا ، طويلا ••

وبعد يومين بدأ العمل • كان عليه أن يحيل الرسائل من عند الفريد فى محفظة على دراجته ويوصلها الى ادارات معينة • كان «فامستر» • قال له الفريد يوم تسلم العمل •
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

– اسمع ! تقتنى كلها أضعها فيك • هذا العمل كان يجب أن يقوم به فرنسى • بل جندى فرنسى • ولكننى أقنعت الكولونيل بثقتى فيك ، وباخلاصك لنا ، فكن كما أريدك وإلا •••

★

زوجته بدأت تتغير ، وهو بدأ يتغير ، والحياة كلها فى تونس بدأت تتغير • البلاد فى زوبعة لان الثورة بدأت ومعها بدأت ثورته هو بطريقة خاصة • وهو فى زوبعة لانه شاهد عند الفريد ما جعله يطلع بحق على بشاعة الاستعمار فى أحط مظاهره وخاصياته • شاهد الابحاث ، الاستنتاجات ، الجلد ، التعذيب ••

زوجته ايضا فى زوبعة ، ولكنه لم يتوصل الى معرفة السبب • بدأت بالذهول ، ثم ذبلت ، وأخيرا لازمت الفراش ، وتخلت عن العمل • ماذا جرى ؟ لقد فرح عندما مكثت بالدار ، ولكن هذا المرض ••• عندما غابت سأل الفريد عنها ، واحتج صائحا :

- لا يحق لها أن تتركنى الآن • زوجتى مع الاولاد فى فرنسا منذ شهر ،
وأنا وحدى • فمن سيقوم بواجباتى ؟
وأحس هو بوخزة فى قلبه ، ولكنه سكت وقدم شهادة الطبيب • فقال
الفريد :

- آى ! آى ! آى !

ليلة البارحة ، شاهد وهو يدخل منزله عجوزا معروفة بتعاطى (الطب
الرعوانى) تخرج منه • وسأل زوجته فقالت :
- جاءتنى بدواء لصدرى •

الح كثيرا فى اخذها الى الطبيب • فرفضت بشدة • الدخل قليل وهى لا
تعمل ، ومصاريف الابن فى المدرسة كثرت ، ثم •• مرضها ليس بالشىء
الخطير وستشفى قريبا •

راوده شك بغيض ، فتخلص منه بسرعة ، زوجته لا يمكن أن تفعل ما
يظن • ثم انغمس فى دوامة عمله الوطنى أكثر ، الايام تمر ، والنار تشتعل ،
وهو يعمل بلا كلل أو ملل •

كل الوسائل التى يخلها الى الادارات تفتح وتقرأ قبل أن تصل الى وجهتها •
طريقة العمل بسيطة • عند خروجه على دراجته من الادارة ، يوجد فى طريقه
منزلان أحدهما فى أعلى الشارع والثانى فى أسفله حسب اتجاهه • وإذا كانت
المحفظة بها رسائل الى ادارات معينة وقع تبليانها له •• يقف أمام أحد
المنزليين ، ويرفع دراجته على (المادة) قرب الحائط الذى به باب المنزل ،
ويشرع فى نفخ العجلة التى ليست فى حاجة الى النفخ • وتمتد يد من باب
المنزل الى المحفظة على كرسى الدراجة الخلفى فتبدلها بأخرى مماثلة • ويستمر
هو فى نفخ العجلة ، حتى يتم ارجاع المحفظة الاصلية على الكرسى دون ان
ينتبه أحد • كانت العملية لا تأخذ من وقته أكثر من عشرين دقيقة ، يواصل
بعدها سيره الى الادارة المعنية ليسلم الرسائل • كان كل مرة يتصور العملية
داخل المنزل • اليد التى أبدلتها تحملها الى طاولة فى بيت قريب • الطاولة
فوقها « بابور » غاز يشتعل ، وعلى البابور « براد » يهتز من غليافه يخرج من
(بزيمه) بخار كثيف • الايدى تفتح المحفظة ، تخرج الرسائل ، تفرزها :
هذه هامة ؟ لا • وهذه ؟ لا • هذه نعم ، تفتح كيف ؟ يعرض الغلاف الى البخار

الساخن الكثيف ، يسيل (اللصاق) يفتح الظرف ، تسحب منه محتوياته ،
تقرأ بسرعة ، ترجع الى الظرف ، تلتصق من جديد ، توضع على الطاولة ،
ترتفع يد أخرى بالمروحة ، ليبرد اللصاق ويعود كما كان . خمسة أفراد في
البيت ، وعشرون دقيقة كافية للاطلاع على كل شيء والاحتياط لكل شيء
بعد ذلك .

في المرات الاولى شعر بخوف كبير ، ولكن بمرور الزمن ، وتكرر العملية
فارقه خوفه ، وأحس بالفخر لانه يقوم بعمل كبير لفائدة وطنه وشعبه الراح
تحت النار والحديد ، المهان ، الذي يلسع السوط جلده ، والبصاق وجهه ،
ويأكل السجن من لحمه ودمه وعظامه ، ويخرب الرصاص صدور أبنائه ،
وتهدم القنابل بيوته ، وتدوس الارجل الغليظة المتعجرة كرامته وقداسته .



في منزله عندما يعود ، يجد كل شيء باهتا ، حزينا ، مريضا ، زوجته
ملقاة على فراشها ، خيالا ، هزيلا ، ذابلا . ابنه الجالس على « الجراية » قربها
يراجع دروسه بكل اجتهاد ، صامتا ، شاحبا ، متكشا على نفسه ، والعجوز
الجارة تسبح وتحوقل ، وتتمشط من أن لآخر في منديل أسود كبير مشدود
الى حافة « بلوزتها » الدكناء . ويحس الرجل بأنفاسه تختنق ، وبصدره يكاد
ينطبق .. ويقول ابنه :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

— مساء الخير ، يا بابا .
ويصمت ليوصل دراسته .

وينحنى هو على زوجته يسألها في حنان ورفق :

— كيف حالك اليوم ؟

وترد العجوز عوضا عنها :

— ماذا أقول لك يا بني ؟ رحمة ربي كبيرة ... لكنها تعب جدا .

كل يوم هكذا ... هكذا ... وهو يختنق ، ويفرق في عمله الوطني ..
حتى كان .. يوم .. وجد الرهبة تملأ منزله ، والحزن ، والالم .. زوجته
كانت بين الحياة والموت ، وابنه تخنقه العبرات ، والغصة في حلقه مرة لا
تصعد ، وجمع من عجائز الزنقة تجمعن كالفربان في أرديتهن السوداء حول
فراش المريضة .

انكب عليها مفجوعا ، راعش الصوت ، يسأل ، ويمعن النظر ، كانت في
شبه غيبوبة ، ولكنها التفتت اليه ، وقالت بصوت خافت يكاد يسمع :
— سامحني .

وأدارت وجهها تدارى دمعتين أفلتنا من عينيها الذابلتين .
 عندما رجع مع الطبيب ، وفحصها ، وهى شبه ميتة ، قال له الحكيم .
 - يجب فتح بحث فى الحال . لقد أضرت بنفسها أو أضروا بها .
 - ماذا جرى يا سيدى ؟
 - حاولت الاجهاض . فأصيبت بنزيف داخلى عنيف . لقد فرغت من كل
 دمها تقريبا . حالا يجب أن تحمل الى المستشفى .
 وطنت اذناه .. إجهاض .. إجهاض .. لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا أجهضت أو
 أجهضوها ؟



كان ينفخ العجلة أمام الباب ويبكي كالطفل .. زوجته هناك فى المستشفى ..
 ابنه فى البيت مع خالتي دوجة يبكي حتى يكاد ينوب دموعا . وهو هنا يترقب
 أن تعود المحفظة من الدار التى هو أمامها . وأحس باليد توضع على كتفه ،
 فالتفت مذعورا .. كانوا أربعة ، غلاظا ، شدادا ، مرعبين فى زيم الداكن
 المهول . ابتسم السرجان « ولد موح » وقال له بالعربية :
 - لا تتحرك ، وقعت يا ضيع .
 وبسرعة فائقة ، قيد يديه ، وسحبته معه الى باب المنزل الذى دوهم وقبض
 على كل من فيه .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>



الهناف يعلو الى عنان السماء ، والموسيقى تهز الدنيا ، والناس أمواج فى
 نهج محمد الخامس تتدافع بالمناكب ، وهو بينهم كريشة فى مهب ربح عاتية .
 كان يرتدى زيه هذا الذى يرى جمازته على الكرسي أمامه ، وكان فرحا به ،
 فخورا . منذ أسبوع فقط ارتداه ، وصار حاجبا فى ادارة تونسية رغم
 عاهته .. رغم يده المقطوعة . دفعه شاب فى الزحام ، فالتفت اليه صديقه
 يلوم قائلا :

- انتبه ، كدت تسقط هذا الرجل المسكين ...

لم يتعذر الشاب بل ركض يحاول الحصول على مكان أفضل لكى يرى
 الاستعراض الضخم ، أول استعراض لجيش وحرس تونس المستقلة .
 بقى حيث هو فى مكانه ، ينظر ، معجبا ، فخورا ، ويتذكر ..
 عذب كثيرا يوم قبض عليه . جلد ، حرق ، اغرق فى الماء القذر ، قلعت
 أطفاله ، ضرب بالعصى ، بالـ « شطرب » ، بالسلسلة . عيروه ، سبوه ،

شتموه ، ركلوه ، وكان أشددم عليه « عرفه » الفريد . قال له :
- اعرف لماذا خنت يا قدر ، اعرف . انت لست وطنياً . أنت كلب . أنت
خنتني انتقاما ، لا بد أنك فعلت ذلك لتنتقم . الكلبة زوجتك أعلمتك بما
بيننا ، فانتقم . لكن ..

عندها ظهرت الحقيقة واضحة جلية . فصاح في الفريد :
- يا كلب . أنا عملت من أجل وطني . أما زوجتي فقد قتلت نفسها ،
قتلت نفسها لان كلبا مثلك لمسها .

وهوت عصا الفريد الحديدية على اصابعه فهشمتها ، واختلط الدم باللحم
بالعظم . وفي المستشفى التابع لسجن قطعوا اصابعه . ولكن « الفرغرينه »
سرت الى الذراع من عدم المبادرة بالعلاج ، فتبر الذراع ، وسرى الداء الى
العضد . وعندما قطعوه من الكتف ، توقف الداء ، وشفى ، فقدموه الى المحكمة .
علت الضوضاء حوله فانتبه ، وشاهد شباب تونس يمر في أزيائه البديعة ،
مرفوع الرأس ، متوقد العزيمة ، ثابت الخطوات ، ممسكا أسلحته بروح
ملؤها الحماس والاعتزاز . بكى ، بكى كالطفل من السرور .

عاجز هو عن وصف آلامه وحزله ، وعاجز هو عن وصف سروره ، وفخاره ،
ورضاه عن نفسه .. عاجز عن وصف ليلاته الطويلة منفردا كالجرذ في زنزانته
المظلمة القذرة الرهيبة يريق دمه على زوجة لم يمكنه حتى من حضور
جنازتها ، وعلى ابن حرم من رؤياه ، وعلى حرية سلبت منه ، وعلى .. ذراع
بترت .. وعاجز هو عن وصف ابتهاجه بوطنه الناهد الى الرقى والازدهار
والتقدم تحت قيادة رشيدة حكيمة .



فتح الباب ، واستفاق هو من أحلامه ليرى ابنه يدخل مبتسما . لباسه
رائع ، جماله ساحر ، يمثل ما حققته تونس ورئيسها وحزبها خلال عشرين
سنة من الاستقلال . فرحة الحياة ، النجاح ، الثقافة ، كلها ، كلها تتجسم
فيه ، وتكاد تنطق من كل قسمة من قسما وجهه . في الصباح جاءه ابنه الى
الادارة ، وقدم اليه الجريدة . لقد نجح قطع كل مراحل تعليمه العالي ، وفاز .
لم يقل شيئا . قبله ، وبارك له . ثم استرخى من رئيسه وجاء الى قبرها في
الجلاز . جلس قربه ، قرأ الفاتحة : « لو رأيته يا حبيبة عمرى . لو رأيته .. »
لقد نجح ، نجح ، إنه وسام حياتي ، إنه فرحتي ، إنه ثمرة من ثمرات بلادي
المستقلة . أتذكرين حين حدثتني مرة عن « البرويطة » ؟ إنها مازالت هناك ، في

بيتنا الجديد ، فى زاوية من الحديقة • أتذكر بها أبى • وسأترك ذبى هذا لآبى ليتذكرنى به ، اما هو فسيترك شهادة عليا لابنائيه يتذكرونه بها ، لانه - من حسن حفظه - عاش فى بلد مستقل ، بذل من أجله حتى وصل الى حيث هو • نحن فى خير يا رفيقة حياتى ••• نعيش عزتنا • وتذكرك بالرحمة والفتاحة ، لقد سامحتك ، سامحتك • أتذكرين يوم طلبت منى ذلك وأنت تموتين ؟ لم أكن يومها أعرف أن ذلك القدر قد اعتدى عليك • كم أكرتلك يا حبيبتي وأنا فى الزنزانة ••• لقد كنت بطلا ••• ضحيت بحياتك حتى لا تنجى من قدر مثله ••• لقد سامحتك يوم عرفت ، يوم قطعت ذراعى ، بعد أن هشمت وبترت جزءا ، جزءا ••• نحن فى خير ، يا أخت روى ••• فاستريحى مطمئنة ، راضية ، مرضية ••• لك سلامى ، وسلام الابن •••

ونهى ••• أحس براحة كبيرة •••

كان ابنه ينظر اليه ••• وزال الابتسام شيئا فشيئا من شغفه ••• فهم أن أباه يسبح فى ذكرياته ••• فتذكر هو أيضا ••• سجن أباه الطويل الطويل ••• جنازة أمه الحزينة التى حضرها مع قريبين فقط ••• بقاؤه عند الحالة دوجة يدرس بكل جد وكد واصرار ••• قال :

- أبى ••• ألا تأتى لئرى أصدقائى وتشاركنا الفرح ؟

نهض من البنك ، ومد يده اليسرى الى حمازته ليرتديها ، سبقه ابنه اليها ، ولكنها أفلتت من يده فوقعت على الأرض ••• قال له :

- انفض غبارها يا ولدى ••• إنى ارتديتها منذ عشرين سنة ، وحافظت على نظافتها ماديا وأديبا ••• الذكرى العشرون للاستقلال قريبة ، وأريدها يومها زاهية ، نظيفة ، جميلة ، كتونس ، كتونس اليوم ، تماما •••

سكت الابن وأعاناه على ارتدائها بعد أن نفض الغبار عنها ، ثم أدخل كم الذراع الايمن الفارغة فى الجيب الايمن ، وقال لأبيه ببعض المראה :

- أبى ••• أنت ضحيت من أجل تونس ، ومن أجل كثيرا ، حتى أوصلتني الى حيث أنا الآن ••• ولكن ، ليس عى قدرتي ، ولا ••• فى قدرة أى كان ••• أن يرجع ••• لك ••• ذراعك الـ •••

ابتسم اليه من قلبه ووضع يده اليسرى على كتفه وقال :

- لا بأس ، لا بأس ••• أنت ذراعى وذراع وطنك يا ولدى ••• تعالى لنرى أصدقائك •••

عبد الرحمن عماد
(ابن الواحة)

حسن نصر أحرقن الخبزة !!

الشخص

في الشباك

على الركن

- المغنى المتجول - منيرة : الحفيدة
- المتسول - الجد - الجدة - الأم - الأب

http://Archivebeta.Sakhrat.com

المنظر : مخزن عميق تسوده الفوضى ، أدبаш متنافرة ، عربة مجرورة احدى عجالاتها منتزعة ، بيانو قديم ، اقفاص دجاج ، صناديق خشبية ، برميل كبير ، قلال متكئة على الحائط ، جفنة من النحاس تلمع ...

الشباك : بصدر المخزن شباك كبير مشرع على مصراعيه يطل منه فى كل مرة وجه من الوجوه .

* * *

المغنى : (يتنقل كالشبح بين الادباش) أين ذهببت الشمعة ! ..

المتسول : (متمددا فوق كومة من التبن) فتش عنها ، أين تركتها بالامس .

المغنى : تركتها فوق الصندوق فلم أجدها .

المتسول : انظر فوق البرميل •

المغنى : لا فوق البرميل ولا فوق الصندوق •

المتسول : لعنها فوق الاقفاص •

المغنى : (يتعثر ببعض الادبش • تتساقط الواح واشياء محدثة ضجة عالية) •

المتسول : ماذا فعلت أيضا ؟ ستقلب علينا الدنيا !

المغنى : (ساخطا) هذه الاشياء دائما فى طريقك تعترضك اينما توجهت ،
أين هى هذه الشمعة ؟ من أخذها من مكانها ، من ؟ !

المتسول : لم يمسسها أحد غيرك •

المغنى : صنعت أجنحة وحدها وطارت !

المتسول : اسأل نفسك •

المغنى : لو كنت وجدتها فى مكانها لما سألتك •

المتسول : وأنا لو عرفت مكانها لما تركتك تبحث •

المغنى : إيه ! من أطفأ الشمعة الباردة ؟

المتسول : لعلك أنت •

المغنى : أنا نمت وتركتك ساهرا بعدى •

المتسول : أنا الذى نمت وتركتك ساهرا تغنى والشمعة تشتعل •

المغنى : اذا لم يكن واحد منا أطفأ الشمعة فمن يكون أطفأها •

المتسول : ربما الهواء •

المغنى : (هائذا) الهواء ! • الهواء (ضاحكا) الهواء ، الهواء ... منذ

متى أصبح الهواء يدخل الى هذا المكان !

المتسول : كل مكان فى هذا العالم ، وكل ثقب فيه يدخله الهواء ...

الجلدة : (تظلم من وراء الشباك) منيرة ! هل نضجت الحبة ؟ منيرة !

يا منيرة ! هل نضجت الحبة ؟

الحفيدة : (من وراء الشباك) ما زالت لم تنضج يا جدتى .. ما زالت .

المتسول : (يواصل كلامه كأنه لم يسمع ولم ير شيئاً) ... وان هذا الثقب الذى نعيش فيه أنا وأنت هو جزء من هذا العالم فلا بد أن يدخله الهواء .

المغنى : أى ! أى ! أى ! من أين جاءتك كل هذه المعارف ؟

المتسول : جاءتنى من حيث جاءك صوتك الجميل فى الغناء .

المغنى : مجنون من يقول إن الهواء يدخل هذا المكان . الا يشتم أنفك الموقر هذه الرائحة ؟ انظر حواليك ! ألم تر الى هذا الماء الذى ينزل من الجدران ، وهذا الماء الذى يتقاطر من السقف ، وهذا الماء الذى يجري من تحت قدميك ويكاد يحملك معه ؟!

المتسول : وماذا فى ذلك ؟

المغنى : هل صادف أن رأيت وجهك فى المرأة أيها المتسول المسكين ؟!

المتسول : وجهى ! .. ما دخل وجهى ؟!

المغنى : وجهك المسكين الشاحب .

المتسول : وجهى شاحب مسكين ! وجهى أنا مسكين !

المغنى : نعم . وجهك مسكين لأنك لم تعرف الهواء .

المتسول : الهواء ! الهواء ! الهواء ! ..

المغنى : ولم تذق طعم الهواء .

المتسول : وهل الهواء له طعم ؟

المغنى : نعم . وله أنف وذقن . ألم تسمع الاغنية (يغنى) « آه ملهوى يا حبيبى ، آه ملهوى ... »

المتسول : صوتك جميل .

المغنى : كيف عرفت أن صوتى جميل ، وأنت لم تفرق بين الهواء ورائحة الرطوبة .

المتسول : ومن هو هذا الهواء ؟

المغنى : الهواء هو الهواء .

المتسول : هذا الهواء الذى هو الهواء ، أين هو ؟ كيف أجده ؟

المغنى : ماذا تريد عنده ؟

المتسول : أريد أن أعرفه .

المغنى : أنت ! أنت تريد معرفته ، تصور أننى أنا المغنى وقفت أمام بابك طول عمرى أعزف وأغنى وأرقص ومع ذلك لم يفتح لى بابك .

المتسول : الامر بالنسبة لى مختلف . أنا سأذهب لأسأله حاجة .

المغنى : أنت دائما تريد أن تأخذ ! دائما .. هات ..

المتسول : وماذا تنتظر من متسول فقير مثلى ؟

المغنى : (فجأة وباعلى صوته) أنتظر منك أن تقول لى أين هى الشمعة ؟

المتسول : الشمعة ليست عندى .

المغنى : لكنك أنت الذى أطفأت الشمعة .

المتسول : كيف عرفت ذلك ؟

المغنى : كيف لا أعرف وأنا من اليوم الذى قابلت فيه وجهك والمصائب

نازلة على رأسى كالجمجمة . فعندما أقول لك : هذا أبيض . وأشير

له بإصبعى هذه ، تقول لى أنت : أسود ، وأشير لك الى الاسود ،

فتقول لى : لا . هذا أحمر ، كيف السبيل الى التفاهم معك !

الجد : (من وراء الشباك) منيرة . هل نضجت الحبة يا منيرة ، صغيرتى

منيرة هل تسمعين جدك ، هل نضجت الحبة ، هل نضجت ؟

الخفيد : (من وراء الشباك) ما زالت يا جدى ، ما زالت لم تنضج ، لم تنضج

الحبة بعد .

المتسول : ... لكن يا سيدى المغنى ...

المغنى : (يقاطعه) الافضل لك ان تترك كلمة « لكن » هذه وشأنها .

المتسول : وماذا أقول أيضا ؟

المغنى : قل كلمة أخرى .

المتسول : ما هى الكلمة الاخرى ؟

المغنى : قل كلمة « نعم » مثلاً .

المتسول : نعم . نعم . لكننى تعودت على استعمال كلمة « لكن » إنها أخف على لسانى .

المغنى : كلمة « لكن » هذه لا تناسبك ابدا ولا تليق بك .

المتسول : (فى حيرة) إننى لا أفهم لماذا لا تناسبنى ...

المغنى : انت الآن فى هذه الحالة . هذه الحالة التى أنت فيها باعتبارك متسولا تريد دائما أن تأخذ . هل بإمكانك أن تعطى شيئا . أن تقدم شيئا .

المتسول : الآن على الأقل ، أقول لك الحق لا أستطيع لكن فيما بعد ...

المغنى : ها أنت من جديد تعود الى « لكن » هذه التى تفسد علينا كل شىء من أساسه . قلت لك . أنت الآن كما أنت هل بإمكانك أن تعطى شيئا .

المتسول : ليس فى يدى الآن ما اعطيك لكن ...

المغنى : لا أريد لكن أريد نعم أولا .
<http://Archivebeta.sakinit.com>

المتسول : دعنى أفكر (ثم) نعم ، لا .

المغنى : كيف - نعم - لا فى نفس الوقت ، لا تكن مذبذبا هكذا يا رجل قل هذه أو هذه .

المتسول : لكن .

المغنى : عدنا الى « لكن » الا تستطيع ان تنساها يا رجل وتكون صاحب مبدأ ثابت .

المتسول : أستطيع أن أكون صاحب مبدأ .

المغنى : إذن عليك أن تختار بين « نعم » و « لا » .

المتسول : نعم . نعم . أستطيع .

المغنى : تستطيع ماذا .

المتسول : أستطيع أن أعطى يدي • عمل يدي •

المغنى : أرايت كيف تعود الى الاعتراف بالحقيقة ؟

المتسول : سوف لن أقول فى المستقبل إلا هذه الكلمة • كيف هى ؟ إننى نسيتهما •

المغنى : لا ، لا تنسها • إنها نعم •

المتسول : نعم هذه اللعينة •

المغنى : أعدها مرة أخرى •

المتسول : نعم •

المغنى : أعدها من جديد حتى لا تنساها •

المتسول : نعم نعم نعم •

المغنى : (يغنى) نعم يا حبيبى نعم ... أرايت كم هى خفيفة على اللسان ، انها أغنية حلوة • نعم • نعم •

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

المتسول : نعم •

المغنى : نعم •

المتسول : نعم •

المغنى : نعم •

المتسول والمغنى : (كأنهما فى حلقة دروايش) نعم ، نعم ، نعم ، نعم ...

الأم : (من وراء الشباك) منيرة ! يا منيرة ! ابنتى منيرة ! هل نضجت الحبة يا منيرة ؟ أين أنت ؟

منيرة : ها أنا ذا يا أمى • ما زالت لم تنضج الحبة • ما زالت يا أمى •

المتسول : والآن بعد ان قلنا « نعم » وأعدنا « نعم » وأكلنا « نعم » وشبعنا « نعم » ماذا وراء « نعم » يا سيدى المغنى ؟

المغنى : وراءها : أنت الذى أطفأ الشمعة وتركنا فى الظلام •

المتسول : كل هذا من أجل أن تقول لى : إنى أنا الذى أطفأ الشمعة •

المغنى : وتركنا فى الظلام .

المتسول : ألم تجد شيئا آخر تقوله ؟

المغنى : وماذا تريدنى أن أقول .

المتسول : كان تقول مثلا : إن الشمعة انطفأت وحدها بمحض الصدفة .

المغنى : النار المتأججة لا تنطفىء بهذه السهولة وبمحض الصدفة .

المتسول : كيف تريدها أن تنطفىء ؟

المغنى : تنطفىء بفعل فاعل ، إنها ، إنها كالحب ، نعم كالحب فهو ينطفىء بمرور الايام ، ينطفىء باللمس والاحتكاك وما ينجر عنهما من الابتذال ، فيتلاشى الحب ثم يموت ، وقل مثل ذلك عن الشوب الجديد ، والسيارة الانيقة ، هل عرفت مثل هذه الاشياء الدافئة فى حياتك أيها المتسول المسكين ؟

المتسول : بالله عليك لا تزدد فى تعذيبى .

المغنى : لم أكن أدري أن مجرد الحديث عن هذه الاشياء الدافئة يتسبب فى تعذيبك .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

المتسول : متى تكف عن هذا الكلام وترحمنى !

المغنى : وأنا من يرحمنى .

المتسول : أنت يرحمك الله .

المغنى : هذه كلمة تقال للموتى .

المتسول : إننا سنموت من الجوع .

المغنى : هل أنت جائع ؟

المتسول : ومن منا غير جائع ؟

المغنى : جميعنا جياع . لكن جوعنا يختلف . هنالك من هو جائع الى الطعام . وهنالك من هو جائع الى شىء آخر ، وشىء آخر ، وآخر ...

المتسول : الجوع هو الجوع ، ليس ثمة فرق بين جوع وجوع آخر .

المغنى : ألم أقل لك : إنك مسكين لا تفكر إلا فى بطئك .

المتسول : وفيماذا تريدنى أن أفكر ؟

المغنى : فكر فى شىء آخر . فكر فى .. فى .. فى النور مثلا .

المتسول : لماذا لا أفكر فى الجوع ما دمت أشعر بالجوع ؟

الأب : (يطل من الشباك) منيرة ! يا منيرة ! أين أنت أينها الطفلة ! لماذا لا تردين ؟

منيرة : نعم يا أبى . نعم ..

الأب : هل نضجت الحبة أم لا ؟

منيرة : ما زالت لم تنضج - يا أبى - ما زالت قليلا .

الأب : حركى النار ، وهيا اسرعى .

منيرة : إننى أسرع يا أبى .

المغنى : هل ذقت يوما طعم الحبز الساخن ؟

المتسول : جربته مرة .

المغنى : وكيف حدث ذلك ؟

المتسول : منذ سنين بعيدة كنت أطوف كعادتى عبر الازقة والحارات .

واشتدت القائلة ، وأخذ منى الجوع والتعب ، فجئت تحت ظل شباك

« برمقى » أستريح ، كان الذباب يتساقط على وجهى فأخذت أتصيد

الذباب بيدي .. فجأة سمعت ضحكة نسائية حلوة تنطلق من النافذة

فوق رأسى . رفعت بصرى فرأيت عيون امرأة تطل على من خلال

ثقوب البرمقى ، فقامت أريد أن ابتعد عن سخريتها . فهمست لى :

لا تذهب .. انتظر .. ستفتح لك الخادم الباب .

المغنى : وهل فتحت لك الباب ؟

المتسول : فتحت لى الباب ودخلت •

المغنى : وبعد ذلك •

المتسول : جاءتنى بمائدة عليها أطعمة متنوعة وغللال وأشياء • آه لو باستطاعتى أن أصف لك تلك المائدة !

المغنى : كيف كانت ؟

المتسول : لا أذكر أنى رأيت مثلها فى حياتى •• كانت مائدة مخيفة • مخيفة !

المغنى : هل أكلت منها ؟

المتسول : تظننى أبله حتى أكل من مائدة مخيفة كهذه •

المغنى : تنهياً لك فرصة كهذه وتتركها تضيق !

المتسول : صدمتنى رائحة الطعام بقوة فأخذنى الدوار فى رأسى •

المغنى : والمرأة ؟

المتسول : لما رأتنى لا أقدم من الطعام • اقتربت منى تريد •• الحقيقة لم أفهم ماذا تريد ، لكننى خبأت وجهى بين يدى ، ثم اختطفتم قطعة من الحبز الساخن وخرجت هاربا •

الحالة : (من وراء الشباك) منيرة ! يا منيرة ! أين هذه الحبة ؟ ألم تنضج بعد ؟ لم تنضج !!

منيرة : بعد قليل ستنضج يا خالتى •• لم يبق الا وقت قليل وستنضج •

المغنى : أنا لم التق بغبى مثلك فى حياتى •• تنهياً لك فرصة كهذه •• مائدة منصوبة أمامك ، وامرأة بين يديك ولم تأخذ من كل ذلك الا قطعة خبز •

المتسول : ولكنها قطعة من الحبز الساخن •

المغنى : وهل رجعت مرة أخرى ؟

المتسول : لا • لم أرجع •• كففت عن الذهاب الى ذلك الحى مرة واحدة •

المغنى : لماذا ؟

المتسول : ومن يدري ؟ لعل زوجها يعرفنى !!

المغنى : يا للفضيحة !!

المتسول : اسكت .. حذار أن يتسرب الخبر أو يسمع أحد .

المغنى : ومن سيسمعنا ؟

المتسول : الجدران لها آذان .

المغنى : هل ثمة ثالث بيننا ؟

المتسول : من يدري ؟ ربما .

المغنى : إذن هو .

المتسول : من هو ؟!

المغنى : هو ، وليس ثمة غيره .

المتسول : لكن من هو ؟!

المغنى : هو الذى أطلقا الشمعة . يجب أن نفتش عنه .

المتسول : نعم نفتش عنه .

المغنى : لا تقلب رأسك فى البحث . من المسلم به أنه موجود .

المتسول : موجود ! أين ؟

المغنى : نحن نعلم أنه موجود . ولكن كيف . كيف تسلل الى هذا المكان وراء

ظهورنا ، كيف اندس وسط هذه الاشياء ، كيف هو يصغى الى

أقوالنا ، كل هذا تجب معرفته أيها المتسول والكشف عنه !

المتسول : علينا ان نعرف لماذا هو هاهنا .

المغنى : قبل أن نعرف لماذا هو هاهنا علينا أن نعرف أولا ماذا يريد منا ،

هذا هو المهم .

المتسول : نعم ، ماذا يريد منا ، هنا يكمن السر !

المغنى : (يلهب ويحيى) الذى يريده منا معروف ، كل شيء واضح ،
كوضوح صوتك وصوتى فى هذا المكان ، وكوضوح هذا الظلام ، إن
الظلام له وضوح كما أن للشمس وضوحا ، وهذا الذى يختبئ وراء
ظهورنا ، يريد منا كما هو واضح أن نبقى فى الظلام .

المتسول : وماذا وراء الظلام ؟

المغنى : العراء ثم الموت .

المتسول : الموت ؟!

المغنى : نعم الموت !

المتسول : إننى أكره الظلام لأن فيه موتا ، فأين هى الشمعة ؟ أريد بصيصا
من نور ، أنا لا أحب الظلام ، أين الشمعة ؟ أين الشمعة ؟
أين هى ؟!

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.com>

الجليلة : أين هذه الحبة يا منيرة ؟!

الجد : ألم تنضج حتى الآن ؟!

الاب : أين الحبة ؟!

الأم : أين الحبز يا منيرة ؟!

الحالة : هل نضجت الحبة ؟!

الجميع فى صوت واحد : منيرة ! هل نضجت الحبة ؟ يا منيرة .

منيرة : الحبة احترقت !!!

الجميع فى صوت واحد : احترقت الحبة .. احترقت ؟!

- ستار -

حسن نعيم

كَلْبُ بَيْتِ كَوَاكِبِ



« سى موسى » من أغنيان القرية وأغنيائها ، ثروته طائلة ، ومناصبه فى القرية لم يتولها مجتمعة أحد من قبله ، فهو متقاعد حارب راتبه مضمون ، أمطرت السماء أم لم تمطر ، وهو البوليس ، وهو أمين السوق ، وهو شيخ الغابة ، يتوسل الناس اليه ، ويقسمون باسمه ويرهبون صوته .

ومع ذلك فانه لم ينجب أولادا !

تزوج المرأة الاولى فلم ينجب ، وتزوج الثانية فلم ينجب ، وتزوج الثالثة والرابعة ، ولم ينجب ، حتى تصور أنه ربما كان الحلال لا ينجب فى بيته ، ولكنه واطب على اقتسام أيامه ولياليه بينهن بالعدل ، تماما كما فصل له « عدل » القرية وأهل السر والبركة ، من أنواع الاكل وطرق المضاجعة وأصناف الادعية ... أكل ما قيل له ، ونام كما قيل له ، وحفظ من الادعية ما أملى عليه .

ومع ذلك فانه لم ينجب .

وكان ينظر الى الاطفال تتقاطر بهم أبواب الأزقة ، ثم ينظر الى نساته والى ثروته ، فيغتاط ويلتاع ، ويخرج من البيت فيأتى « زاوية الخطاب » ، فيبخلق

فى قبته ، ويقدم رجلا ثم يؤخر أخرى ويكاد بهم بشيء ما ، لكنه يتمالك نفسه ويخاطبها :

— اهدنى أيتها النفس ، فذلك شأن السادة الاولياء ! اهدنى !
ولكن كيف تهدي نفسك ؟ :

— أخى لن يرث منى ولو فلسا واحدا ، لانه لا ينتظر الا موتى ، وأختى لن تأكل من ورائى لقمة ، لانها لا تفكر الا فى ذلك ، ولكن من أين الولد الوارث الغاصب ، ونساء أربع فى البيت يأكلن فقط ويتروثن !

— ويل ، ويل ! لو كنت أعلم ما فعلت الذى فعلته بطفلى فى بلاد الاروام !

(2)

عندما كان موسى فى شبابه لم تكن امرأة واحدة تستطيع أن تملا ليلته . وكان وهو فى صفوف الجيش الفرنسى ، على جبهة الحرب العالمية الاولى ، لا يفاخر الا بها ورزقه الله من بسطة فى الاعضاء . فهو طريل ممتد ، عريض الكتفين ، مبطوح الكتفين ، يعلم كل الناس أن مقاس حذائه يقارب الخمسين ، وقد أرسل شاربا تركيا كان به يتباهى فى كل الحانات ويتعالى . وهو أيضا ملاذ الضعفاء من الجند اذا نزلوا المدينة ، يقودهم فى أزقتها المعتمة ، ويلج بهم حاناتها المريبة ، ثم يعود بهم الى السكنة سالمين . كان الكابورال الوحيد الذى يستطيع أن يدلى بمثل هذه الصولة والمنعة . بل كان — ولتلك الاسباب أيضا — الوحيد ، حتى من بين ذوى الشارات والنجوم ، الذى يتخذ فى كل مدينة ينزل فيها الجند خلية رسمية ، يقسم إنه ليس من المعقول أن تخرج عنه لغيره .

غير أن مدينة « فردان » لم تكن ككل المدن الاخرى !

كانت كتيبته قد وصلت اليها فى أواخر شهر مارس ، بعد انتهاء موسم المطر ، فبدأ له أن مروج جنوب فرنسا المزرکشة قد تبعته الى الشمال ، بل إن الارض هنا وهى تصحو كالعروس المتشاببة صباح ليلة الدخلة ، لأجمل بكثير من تلك الحقول التى اعتادت الزينة .

الحرب اذن سوف تكون فرجة ، أو بداية نزهة • والمقام – بكل تأكيد – سوف لا يطول ، وفكر أنه لن ينقضى الربيع حتى تكون خدمته العسكرية قد انتهت ، خاصة أن أخبار الجبهة لم تكن تشير الى أية صعوبة منتظرة تمنع من الانتصار فى بضعة أسابيع !

لذلك فانه منذ الليلة الثانية لوصوله الى فردان ، أخذ معه بعض العساكر ونزل الى المدينة : ما دام المنتظر أن الحياة ستكون رتيبة هنا ، فليشرع منذ الآن فى اعداد الوسائل اللازمة للترفيه واختصار الإقامة !

وفى تلك الليلة تعرف على « جانين » •

كانت ساقية فى « بار الاسود » وهو عادة لا يصاحب الا الساقيات لاسباب تتعلق أساسا بفاتورة الحساب ، ولانه يعلم بالتجربة أيضا أنهم غالبا ما يكن نازحات من مناطق أخرى ، وبالتالي تتوفر عندهن الراحة ، والبعد عن العائلة والمسكن المستقل • وكانت فوق ذلك من الصنف الممتاز عنده ، الاثير لديه : بيضاء البشرة ، محمرة الخدين ، ممثلة الارذاف ، وفييرة الصدر ، وثيرة البطن • منذ أن رآها فكر أنها تشبه « الجازية » التى يتحدث الناس عنها فى الحرافات • وأحس حين امتلكها أنه ، هو الكابورال ، يقارب سلطان الحرافة أو ربما يتجاوزه بقليل !

وبما أن الجبهة كانت هادئة ، فقد ظل يقضى غالب لياليه فى بيتها ، ولم ينزعج – أول الامر – حين أخبرته أنها قد حملت منه ، فقد كان على يقين من أن الحرب ستكون نزهة ، وأنه سيفادر المدينة قبل الوضع •

ولكن الحرب اللعينة طالت ، ووضعت « جانين » صبيا جعد الشعر ، أسمر البشرة ، أسود العينين ، متين الهيكل ، بشكل لا يترك مجالا للتشكك فى أصله •

ولم يتردد كثيرا عندما أخذه ذات ليلة من عندها ، ولفه فى معطفه الاسود ، وهو يركض به تحت المطر المنهمر ، ثم واده فى أحد خنادق الجبهة !

- ويلي ! ويلي ! ولكن أمن المعقول أننى فى كل مرة أتزوج ، من بين ذبيجات
الخلال الاربع ، لا أقع الا على العاقر وأخت العاقر وبنت العاقر !

عندما تشمتد عليه هذه الحواطر ، وهو وحيد فى الغابة يتفقد زياتينه ، كان
يصيح بأعلى صوته كأنما يبعد كابوسا أو غولا :

- إنى أنجبت !... إنى أنجبت ! والله لقد أنجبت ... ووادته بيدى !

ثم ينظر الى أصابعه الغليظة المتشققة ، فيراها تمتد وتمتد ، كالشعابين
السود ، حتى اذا بلغت الارض نفرت كالتقطط المحتاجة المكشرة عن عيون حمر
كدم البكر ، فيدخلها بسرعة فى جيوبه ويهرول عائدا الى البيت : أترى الله
يعاقبنى الآن على ما فعلته ، أم أن روح ذلك الطفل لا تزال « كالتسابعة » ،
تطاردنى ، وتسعى فى إثرى ؟

- يا سيدى الشيخ ، هذه قصتى بكل تفاصيلها ورويتها لك ، ولا يعلمها
أحد إلا الله وانت ، فما الفعل ؟

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- يا سى موسى ، إنه فى الكتاب أن روح المقتول تظل تطارد القاتل حتى
تقبض على روحه وترفعها معها الى السماء للحساب !

- ما هذا الكلام يا سيدى الشيخ ؟ هل روحى أعز من روح سيدنا عمر
رضى الله عنه ؟ ألم تقل مرة فى حديث جمعة أنه قد وأد ابنته وكانت المسكينة
تنفض التراب عن لحيته وهو يحفر لها قبرها ...

- أعوذ بالله ... أعوذ بالله ، اذا كنت يا رجل تريد الخلاص فلا تزدد فى
طين آثامك بلّة بالتهجم على ساداتنا الصالحين ... هذا أمر اكبر من مخك !..

- حسنا ... حسنا ! ولكن يا سيدى الشيخ أمن المعقول أن روح هذا
« الفرخ » الذى لم يتجاوز اليومين من عمره ، ستسوق روحى أنا الى السماء ،
كما يساق البغل ؟!

- ذلك أمر الله يا سى موسى !

– طيب ! كم يكلف وضع حد لأمر الله هذا ؟

– لا حول ولا قوة الا بالله !

– ماذا جرى ؟ ألسنت المشهور في البلاد كلها بسلطتك على الجن والتوابع تستحضرهم وتؤدبهم وتتصرف فيهم بالأمر والنهي ! ألم تحضر مرة – كما ذكرت بنفسك – جمهورش ملك الجان وتضع رجله في الفلقة ، وتضربه حتى كاد يغى عليه وهو يصيح : يا سيدي الشيخ أنا تحت أمرك ! أنا رهن بركتك ، ثم أعاد مبروكة ابنة الحاج أحمد التي كان قد استولى عليها ومنع ابن عمها من الاقتراب منها ؟ كيف تستحضر جمهورش ، وما أدراك ، وتستعصى عليك روح هذا الفرخ ، ابن اليومين ؟!

– مائة فرنك !

– مائة فرنك ! إنها روح د فرخ ، وليست روح سلطان الجن !

– مائة فرنك !

– إنه لم يتجاوز اليومين من عمره يا شيخ ، ولا أدري إن كانت له روح بالفعل أم لا !

– مائة فرنك ، وتفعل ما أقوله ، ويأتيك البنون والبنات ، حتى تطلع روحك من كثرتهم عليك !

– لا أريد جيشا ، أريد ثلاثة فقط ، لأن كل أموال تنقسم بالثلاثة !

فعل سى موسى ما أمره به الشيخ : دفع مائة فرنك ، ثم ربي عجلا أسود لا أمارة في جلده ، حتى بلغ به ثلاثة عشر شهرا قمرية كاملة ، وذبحه في يوم ثلاثاء ، وأطعم من ثلثه ثلاثين شخصا ، دخلوا الى دار الطعمة ، حفاة عراة الرؤوس ، وأعطى منه ثلثا الى الشيخ ، وثلث ثلث الى مقام الولي الذي يتوسل به الشيخ ، وقدد الباقي ، وظل يأكل من ذلك القديد ثلاثة وثلاثين يوما ، ثم انتظر شهرا ، وشهرين ، وثلاثة أشهر ، وثلاث سنوات ، ولم ينجب !

- ويلى ! ويلى ! لو أنى لم أفرط فى ذلك « الفرخ » الذى وأدته بيدي !

بعد أن انتهت الحرب ، عاد موسى الى قريته كما يعود الغزاة الظافرون . ولم تمض على عودته شهور قليلة حتى جاءه ملف من ادارة قدماء المحاربين الفرنسية : عشر أوراق و زيرية كاملة مملوءة بالاستئلة عن كل صغيرة وكبيرة تتعلق به ، حتى اسماء عماته وخالاته ، فلبس بدلته العسكرية ، ولع أوسمته ، وحمل كل أوراقه الرسمية وركب الى تونس .

- سيدى المدير ، هؤلاء الذين تسألوننى عنهم ليس لهم أى اتصال بالراتب الذى انتظره . لقد حاربت وحدى ، وجرحت وحدى ، ورابطت فى الطين وحدى !

- إنها مجرد اجراءات ادارية سيدى .

ARCHIVE

- الكابورال من فضلك !

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- نعم يا سيدى الكابورال إننا تقديرا لخدماتك وبلائك الى جانبنا فى الحرب ، ونظرا الى أنه لا يوجد أى شرطى بالمنطقة التى تسكنها ، فقد رأينا أن نساعدك لحفظ الامن بقريتك ، فيكون لك راتب آخر فوق راتبك كجريح حرب .

عاد موسى الى القرية مزهوا ، لقد أضاف الى البدلة الكاكية التى عاد بها من الحرب ، بدلة زرقاء ، وقبعة عالية ، ونفوذاً شامخاً ! كان يخرج صباح كل يوم - وقد وضع نياشينه على صدره براقاً لامعة - فيجلس امام « مقهى الرحبة » الذى يتوسط القرية ، مقابل المسجد والسوق وزاوية سيدى الحطاب ، وديوان المشيخة ، وينادى على قهوته المرة المغلية التى يصنعها له « القهواجى » خصيصاً . وظل يرقب الوارد والغادى . كبر أمره واتسعت أرزاقه ، وتزوج المرأة الاولى ، والثانية والثالثة والرابعة ، ومع ذلك لم ينجب !

ذات يوم جاء فريق من الجندمة الى القرية للتحقيق فى جريمة اغتيال •
وكان معهم طبيب شرعى ، ولم يكن موسى قد رأى طبيبا منذ أيام الجندية :

— سيدى الطبيب أريد أن أفاتحك فى أمر خاص يتعلق بشأنى •

— إننى مجرد طبيب شرعى ولست طبيب نساء ولا توليد •

— بالضبط ، هذا هو ما يلزمنى ، طبيب ورجل شرع !

— إننى فقط أحسن تشريح جثث الأموات •

— وهذا هو أمرى بالضبط •

— إننى لا أدراك ميتا !

— لا إنه ابنى •

— هل مات ابنك •

— نعم منذ زمن بعيد فى فرنسا وروحه تطاردنى •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

— أنا لا أعرف تشريح الارواح !

قص موسى عليه القصة • سألته الطبيب :

— كم سنة قضيت فى فردان ؟

— شتاءان يا سيدى مرا على فى خنادق فردان • لقد كنت آخر من قاوم •

مر على شتاءان لم أبرح الخندق إلا لما • كان الشتاء الثانى قارسا لعينا ! لقد
بقيت أكثر من شهرين واقفا فى الماء حتى سرتى • وحين أخرجونى كان نصفى
التحتى قد يبس وتجمد ! كانت بطولتى نادرة يا سيدى !

قال له الطبيب بكل جد هذه المرة :

— جرب ما سأنصحك به • طلق نساءك الاربع ، فكثرة النساء مضره

بتركيز القوة العصبية • ثم اذهب الى قبرص واقض هنالك شهرين كاملين ،

تنزل كل صباح الى العين الساخنة وتغتسل في الحوض ساعة ، ثم تزوج من جديد ، وارسل الى بغاتورة نفقات الشهر ، فاني أستخلصها لك ، فلا يخرج من جيبك سنتيم واحد .

(6)

— استمع الى يا سيدى الشيخ : علمك وكتبك وحروزك وأولياؤك ومباخرك لا تساوى كلها شعرة واحدة من شعرات المسيو كلود ! إنه هو الولي الحقيقي ، هو الولي الصالح المتعفف ، فانه ما طلب منى شيئا ، لا مائة فرك ولا عجلا ، ولا طعمة ، ولا يحزنون ، ! بل فوق ذلك استحصل لى على ثلاثمائة فرك مقابل إقامتى الملوكية فى قربص !

آه لو رأيت فاطمة اليوم ! إنى أشفق عليها من الحركة لكثرة ما كبر بطنها . إنى لا أظنها ستلد ولدا ، بل **فيلا** . الواقع أنه يلزمنى فيل حتى يستطيع أن يضم أملاكى ويحسن تدبير أموالى !

هذا كله يا سيدى الشيخ من فضل المسيو كلود الذى لم أعطه شيئا . كل الذى طلبه منى أن أدل على قاتل **بيشا** ، اليهودى اللعين ، عليه الحزى ! لقد احتارت الجندرمة فى الامر ، فلم يكن لبيشا أحد يخاصمه فى القرية ، ولكنه مع ذلك قتل هنا فى ليلة ممطرة مظلمة . لم ير أحد قاتله الذى اعترضه بعد أن غادر القرية وتجاوزها بنحو الكيلومترين . وهو — كما تذكر يا سيدى الشيخ — قد جاء الى القرية كما يفعل آخر كل شتاء يجمع ديونه . وقد عدما فى المقهى والناس ينظرون قبلغت ألفين ومائتى فرك ، فصرف القطع النقدية وأدخلها فى جيبه ، أما الأوراق فقد وضعها بين القميص والقرملة وشد عليها بالقيطان ، وركب « كروسته » ومضى !

كان الناس جميعا ينظرون اليه يفعل ذلك وهو جالس أمام المقهى . ومن الذى يمكن أن يفكر شرا بالمسيو **بيشا** ، وهو الذى يدين الفلاحين أيام العوز وشح السماء !

لقد قلت هذا بكل تفصيل للمسيو كلود عندما استضافته مع الجندرمة فى بيتى ، وقد صدقنى بلا شك ، اذ إنه مال الى وأسر فى أذنى :

— إنك يا كابورال رجل ذكى جدا ، ووصفك للاحداث يدل على انك قائم بشؤون الامن أحسن قيام ، وعارف بكل حركات القرية وسكناتها • وإنسى سامتدحك عند رئيس الجندرية ، فمن يدري لعله يأمر بزيادة راتبك أو ترقيةك أو تعيينك شيخا على الغابة بالإضافة الى حفظ الامن •

وبعد قليل من التفكير مما يدل على اتزان الرجل ، قال لى بصوت خافت ،
مما يدل على احترامه للأسرار :

— إن هذه المناصب والمنافع تستطيع أن تحصل عليها مجتمعة لو أنك ساعدت فى العثور على القاتل •

ما بالك يا سيدى الشيخ تحملق فى وجهى ؟

أنت تعلم مثلى من القاتل يا سيدى الشيخ ، ومن منا لا يعرفه ، ولكننا فى القرية نحمل بعضنا بعضا ، ونستتر على بعضنا ولا ندل على من فعل فعلة بأجنبى ، وأنا من هذه القرية ، بل أنا حاميا وحافظ أمنها •

ولكن زيادة الراتب والترقية ومشىخة الغابة وهيلمان الجلوس كل صباح فى انتظار المشتكين ، هذا يتوسل : يا سى موسى لقد رعت أغنامه زرعى ، وهذا يقسم : وراسك يا سيدى موسى ، وأنت تعلم كم رأسك عندنا عزيز وغال ما سرقت زيتونة ولا قطعت له حطبة • وهذا • وهذا • ثم الكيد الذى سيصيب الحاج على عندما ستسحب منه مشىخة الغابة • لذة هذا الكيد ما فوقها لذة ! سيأتى عند ذلك صاغرا ، وسيبيعنى بالثمن الذى أرتضيه المرجع الفوقانى ، الذى يحبس الماء عن جنائى • ستنزول بعد ذلك ساقيتى ستقيمة من الحمادة العليا حتى رأس النبع •

أنا لم ألفظ اسم محمود أبدا يا سيدى الشيخ ، وحياة رأسك ! ولم أكن نبيا عند ما بالغ المسيو كلود فى اطرائى على ألين له • بل إنى همست له :

— لو كنت أعرف القاتل لسلمته لك فى الحال •

فلما ألح على وسألنى هل أعرف قرينة ؟ قلت فى نفسى القرينة ليست حمودا :

- يا مسيو كلود ، محمود الراعى اشترى منذ اسبوع فقط مائة زيتونة
دفعه واحدة ودفع فيها ألفى فرنك نقدا !

محمود الراعى ؟ إنه يا سيدى الشيخ كما لا يزال يدل عليه اسمه ، ليس
من أبناء القرية الاصيلين . كان أبوه مجرد راعى أغنام . ثم زرع مغارسة ،
فورث منه ابنه نصيبا أصبح به من ذوى الاملاك !

وبعد كل شيء ، ما الذى دفع بابن الراعى هذا الى أن يعترض طريقي ؟
لقد كان السعر قد رسا على بألف وثمانمائة فرنك ، فجاء وأفسد على الشرية
ودفع ألفى فرنك كاملتين !

(7)

ألم بغاطمة المخاض عند الفجر ، واجتمعت النسوة من حولها يدعين
ويساعدنها على الطلق . وها هو النهار قد أوشك على الانتصاف ، ولكنها
لم تضع بعد .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وضع موسى بين الغرفة والباب عجوزا تأتيه بالانبياء . ولكنها فى كل مرة
كانت تطلع عليه بقولها : قريبا إن شاء الله ينجى . الرجال ، ! ولكنه حتى
الآن لم يأت .

ظل موسى طوال هذا الوقت يندرج الزقاق جيئة وذهابا ، مرة يعقد يديه
على صدره ، ومرة يشبك أصابعه أسفل ظهره . بدأ بقراءة الفاتحة ، ثم تلا
آية الكرسي ، ثم سورة ياسين ، وانتهى بتمنعات لا معنى لها .

هذا الصباح طويل عليه وهو منقبض متخوف .

الحلم الذى رآه البارحة لم يكن مريحا . هو يكره اللون الاسود والقط الذى
ظل يطارده فى منامه كان أسود . هل كان قطا حقا ؟ لم يعد يذكر . ملامحه
كانت كأنها ملامح آدمى ، ولكنه كان ضخما كأنه الاسد . أسد أم قط ، الامر
سواء ، طالما أن لونه كان أسود . على أية حال ، لا يمكن لهذه الدابة - مهما

كان جنسها - أن تضره • لقد تصدق صباح اليوم بخمسة فرنكات عينا ،
 وخمسة أرغفة ، وخمس كيلات من الزيت ، الكل بالخمس ، عدد حروف
 « القطوس » •

ولكن فاطمة لم تضع حتى الآن •

عدد سعف النخلة المنتصبة بساحة دار جاره : (كم هو بخيل ! لم يأتها
 بالذكار هذه السنة ولا التي قبلها • لو كانت نخلتي) ! أصبح يعرف الآن
 بالضبط ألوان أبواب الجيران وشقوقها : (يجب أن لا أنظر كثيرا الى الابواب ،
 فلو رأى أحد لأطال لسانه بالقليل والقال) •

- يا سى موسى ، لقد توعدت زوجتك ، والحلاص على الله !

أغلقت العجوز الباب من ورائها • بقى موسى ذاهلا لحظة ، كأنه لم يفهم
 كلامها • ثم ولى مهرولا نحو الرحبة •

- يا حاج مصطفى ، هل من نصيحة ، الكلام عن النساء لا يكون بين
 الرجال ، أعرف هذا ، ولكن المرأة متوعرة !

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

- متوعرة !

- نعم هكذا أخبرت •

- منذ متى •

- إنها فى الطلق منذ الفجر •

- خذها حالا الى المستشفى بالمدينة !

ولكن السيارة الوحيدة الموجودة فى القرية لم تعد بعد • « حامد » صاحبها ،
 يخرج كل صباح بالركاب ولا يعود بهم الا بعد أن يكونوا قد أنهوا شراءاتهم •

لم يعد « حامد » الا بعد أذان الظهر ، وكان موسى ينتظره •

- إن المرأة متوعرة ، فانقلها الى المستشفى •

- انتظر حتى أذهب الى البيت وآتى « بالحرام » !

بعد قليل عاد حامد وقد أدار الحرام داخل السيارة وأحكمه حول نوافذها ومراياتها • ونصب داخل السيارة بين كرسيه والمقعد الخلفي لوحة مستطيلة أعدها لهذا الغرض عندما ينقل النسوة •

– ألم تجد غير هذا الحرام الاسود ؟

– إنه الوحيد الذي عندي لهذا الغرض ، وأنت تعرفه ، بل تعرف أننا لا نستعمل لنقل النسوة الا « حراما » أسود •

– أريد لونا آخر ، لا يهمنى العرف ولا ما أعددت ، لا أريد هنا اللون الاسود •

وعاد القط من جديد الى ذاكرته •

سارع موسى الى البيت ودعا العجوز وطلب منها أن تأتيه بحرام أبيض •
قال حامد :

– اذا تأخرنا فلا تلمني لأن تركيب حرامك سيطلب وقتا ، فليس فيه خصوصية أعلقه منها •
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

– اتقبه ، أو افعل ما شئت •

عندما انتهى حامد من اعداد السيارة ، كان الناس يخرجون من صلاة العصر ، ولم يخرج معهم الشيخ كعادته لتناول شاي المساء ، وإنما بقي يصلي •

هرول موسى الى البيت وخفقات قلبه كدقات الفأس • طرق الباب بعنف وانتظر قليلا • أعاد الطرق مرة أخرى فلم يأت أحد • صاح بأعلى صوته يطلب العجوز فلم تحضر • دفع الباب وركض نحو الغرفة •

كنت النسوة واجبات ، وفاطمة ممددة على الحصير وعليها إزار أبيض ، وقط أسود قابع عند عتبة الباب •

هشام بوقمرة

نور الدين بن بلقاسم

هذه كذا من عجوز

خيل اليه انه سمع هاتفا يقول له : إنا منرزقك بفلام اسمه يحيى
حدث نفسه وكأنه يرد على هذا الهاتف : من أين لي هذا ، وأمرأتى عجوز
يتربص بها الموت ، وأنا قد تملكنتى الهرم ...

أن أرزق بولد هذا شيء جميل ... ولد قوى العضلات يقلب هذه المزرعة
ويملؤها خصباً هو المال بعينه ، وهو السعادة بعينها . لم لا ؛ فبلقاسم له
أولاد ، ومحمود له أولاد ، وكلاهما يعيش فى سعادة مع أبنائه ... لقد مات
كل أولادى لسوء حظى ، ولم تبق على قيد الحياة الا بنتان ، . بنتان ...
تزوجت كلاهما برجل هاجرت معه الى إقليم بعيد ... ربما هذا من غضب الله،
أو لعل ما حل بى من دعاء الوالدين ، ربما كان هذا هو السبب ... أن
يغضب الله عني لا أظن ، أنا أصلى منذ خمسين سنة ، وبالتحديد منذ زواجى
بأم الخير ... دعت على أمى يوماً فى فورة غضب . لما عاكستها زوجتى
وعنفتها : « سلب الله منك المال والرجال » .

كانت أمى مريضة - وقتئذ - مرضاً عضالاً ، وكانت السنة سنة مجاعة ،
هاجرنا فيها إلى الشمال بحثاً عن القوت . وكانت زوجتى ذات لسان ذرب ،
فكان ما كن بينها وبين أمى . ويبدو أن دعوات أمى فتحت لها أبواب
السماء ... فعفوك يا رب ...

استغافك الزين على صوت ارتطام الفاس بصخرة قوية كادت تهشمه .

وحدق مليا فى الصخرة ، وصمم ءلى قلعها من مكانها ، فلربما تحطم
المحراث زمن البذر • من يدري ٠٠٩

شرع فى حفر خندق دائرى حول الصخرة • وعمق الخندق شيئا فشيئا ،
فبدت له واضحة بحجمها الكبير • • إنها صخرة ليست ككل الصخور التى
اعتاد أن يقتلعها من سانية اللوز • هى حجرة زرقاء اسطوانية الشكل تنبىء
بسر فى أطوائها • • • خامره خاطر بعث فى جسده المنهوك حيوية دافقة • • •
وتذكر - وقتها - الدرويش الذى نزل عنده ضيفا منذ سنين ، حدثه عن
الثراء والمال وتهالك الناس عليه ، وحدثه عن علاقات الناس التى تربطها
المصالح • وقال له : ان الناس ذئاب فى جلود حملان • • • ووعد الدرويش
بالجنى وبحسن العاقبة • ولم ينس أن يؤكد له بأنه سيسعد فى آخر حياته ،
وسيجد كمية من المال فى أرضه ، وسيصير غنيا • ولم يعين له الدرويش
المكان ولا الزمان اللذين سيجد فيهما المال •

شكل الحجرة المدور ولونها الأزرق يدلان على ان هناك شيئا داخلها •
وما عساه يكون غير الأصفر الرنان • وضرب الأرض بقوة فتطاير الغبار على
وجهه ، فاستنشقه كما لو كان يعرف الأرض لأول مرة • • • وتذكر أن حسنا
زوج أخته سلمى قد أصبح غنيا لأنه وجد كنزا حسب ما يشيعة الناس ،
فصرف الكنز عند يهودى واشترى منه ضياعا وأغناما • وأحمد الغالى جاره
صار أيضا من وجهاء الريف ، فقد عثر على جرة مملوءة ذهباً بينما كان يحفر
حفرة زيتونة • • • ها هو الآن يتمتع بالحياة فى بحبوحة من العيش • • • قد
يكون مصيره مثل حسن فيخرج من ضائقته المالية ، فهو الآن لا يأكل إلا
الأساسى ، وكوخه ! • يا ويله من الكوخ فى زمن الشتاء • • • انه مزاريب
تجرى وتتساقط مياهها على رأسه • • •

وجد فى الحفر أكثر • ثم حاول تحريك الصخرة ، فرأى أن نصفها الأسفل
ما يزال غائضا فى التراب ، وأنها عظيمة الحجم ، فلم يربدا من تعميق الخندق
الدائرى حتى يصل الى نهايتها • ورأى زوجته أم الحير قادمة نحوه ، حاملة
فى يدها مشربا وضعت فيه غداه •

وحطت أم الخير إناء الطعام المغطى بمنديلة تحت شجرة لوز ، وأقتربت
منه بخطوات بطيئة لترى ما يصنع ، فكلما وهو يلهث والعرق يتقاطر من
صدغيه :

– لقد قرب الفرج ...

– ماذا تعنى ؟

– سنجد المال !

– ومن أدراك بذلك ؟

– السدويش !

وأطرقت أم الخير ، ونظرت إلى أقصى سانية اللوز . وتكلمت كالحالم :

– المال راحة !

وسكتت . ثم أقمت تنظر إلى زوجها وهو يدور بالصخرة من كل جانب
يتجسسها ويستنطقها ، ثم أضافت :

– سنؤجر العمال إن وجدنا كنزا !

فاردف الزين :

– ونترك الكوخ اللعين !

وبدأت أم الخير بدورها تحاول تحريك الصخرة مع زوجها ، ومر وقت
طويل وهما منشغلان بإخراج التراب من الخندق الدائرى ...

تكلمت أم الخير بصوت خافت كي تدارى الجنون الذين يستمعون إليها ،
وكيف لا ، وكل كنز هو على ملك الجان . قالت :

– إن الصخرة تشبه الرحي !

– هي كرحانا التى بعناها فى العام الماضى .

– تلك التى اشترينا بها قمحا مسوسا ...

– السوس ولا الجوع ...

– قد تكون الصخرة طاحونة قديمة .

– عفانا الله من الطحن

– لا مفر لنا منه ...

ووصل الزين الى أسفل الصخرة ، وقد كلت يدها ، وثقل كتفاه من رفع
الغاس وحطها ، وتعب الاثنان من محاولة تحريكها بلا جدوى ، فأقترح على أم

الخير أن يكسرهما ليكتشف ما بداخلها ، شجعتة على ذلك ، فأخذ يרטطم الصخرة برأس الفأس الحديدي رطما متتاليا ، وأم الخير تنظر إليه فاتحة فمها ، مشدوهة ، تتخيل أن كل ضربة فأس ستبعثر الذهب على أرض المزرعة ، فتوهم نفسها بالانحناء إليه ، وجمعه ، وحفظه بين لحمها وجلابها . ولم يشعر الزين بالتعب ، أو هو حاول أن يكون كذلك ، فدار بالصخرة يحطمها ويفتتها ويبعث أجزاءها . وكلما سقطت منها هدمة شعر بحيوية دافقة ، وأحس كأن شبابه يسعى إليه من جديد ورفع الفأس بقوة عجيبة ، وخبط الصخرة خبطة جعلت قطعها تتناثر كما لو كانت رصاصا هاربا . وضربت إحداها عين أم الخير فكادت تأتي عليها ، فأقمت هذه على الأرض تناؤه وتنالم . قالت ، والعبرات تقطع صوتها :

— هذه بشارت شر ! . .

فرد الزين على كلامها بلهجة المشفق :

— صل على النبي . . . إياك أن تفوهى بكلمة أخرى . . .

وقامت أم الخير في تناقل ، وتحركت بصعوبة راجعة إلى كوخها ، ممسكة بمنديلها ، ماسحة به عينها المتألمة . والتفتت إلى زوجها ثانية وقالت بأنفعال :

— إن بداية الشيء تدلك على نهايته ! . .

لم ينتبه الزين إلى كلامها ، ولا إلى زمن رجوعها ، فواصل تفتيته للصخرة حتى أتى عليها بأسرها ، فلم يجد داخلها أجوف مملوء بالذهب كما كان خياله يرسم له ذلك ، إنما وجدها حجرة صلدة لا شيء فيها . وقف يتفحص قطعها المتناثرة ، وتنهذ بعمق ، ورمى بالفأس في مثل وتهاوى على الأرض، وجعل تلما من أتلام المحراث وسادة له إنها صخرة مجوفة فارغة . . . فارغة مثل كلام الناس ، فارغة كالدنيا . . . ورجع به التفكير إلى الدرويش وما تنبأ له به ، فلعن كل الدراويش وسخر في سره من تنبؤاتهم . ستجد المال في المزرعة هذا كلام فارغ . . . ولكن أبي قبل موته قال لي : عندما تكون فلاحا مجدا مثلي ومثل جدك فإن أرضك ستنتب لك الذهب . لعل الدرويش يقصد ما تنبته الأرض من خيرات . . . وربما كان يهدف بما قاله لي أن أقلب الأرض وأخصبها حتى تجود . . ولكن إنتاج الأرض لا يكون الا بالسواعد

القوية ، وهذا يقتضى أن يكون لى أبناء أقوياء • وأبنائى قد دفنتهم جميعا تحت التراب ، فهذا الساعد المترهل لا يستطيع أن يقلب الأرض • ولا يقدر على قلع أحجارها وطفيلياتها ••• أردت أن أستبنى ولد ابنتى ليعيننى على هم الزمان • ولكنه هرب من منزلى بلا مبرر •••

وتعجب كيف يقلق الآباء من كثرة الأبناء • وود أن يكون له جيش من الأولاد ليروض به هذه الأرض الجموح ، وليبدل وجهها القاحل إلى خصوبة وعطاء • وأحس بريح تمر بين أشجار اللوز ، وأبصر الأغصان تميد عن اليمين وعن الشمال ، فشعر كأنها تسخر منه ، وأن الأرض بوجهها العبوس لا تعبأ به ، وأن الشمس التى تطل من قبة السماء تضحك من بساطته • وباغته حزن مفاجئ، وندم مفاجئ، لا يدري مأتاه ، وجذب انتباهه هرير كلاب تتعارك على بعد مسافة منه ، فرفع رأسه فرأى قطيع كلاب فى حلقة دائرية ، ووسطها كلب كبير قد حشا رأسه فى إناء غدائه ، بينما بعض الكلاب الأخرى تنهشه ، وبعضها الآخر يحاول جاهدا أن يفتك نصيبه ، فأنقلب الاناء على فمه ، واختلطت بقية الطعام بالتراب •••

لم يابه بما رأى ، وقام فى تناقل ، فهربت الكلاب لما شعرت بوجوده ••• فتأنحنى وأخذ الاناء الفارغ ، وأتجه صوب كوخه ••• لما ولج بابه ارتفعت دجاجة كانت فى الداخل ، فحاولت الفرار ، فضربت بجناحيها الجرة القريبة من الحصير ، فأنقلبت ، وآبتلت الحصير ، ورغم البلبل الظاهر على الفراش الهزيل فقد تهالك عليه من التعب • وسألته أم الخير عما إذا كان قد تغدى أم لا ••• فأجابها ببطء :

— الكلاب أكلت طعامى •

جاءت له زوجته بطبق عليه كسرة وزيتون ، فلاك من الكسرة مضغاته • ولكن أسنانه البالية خانته ، فآزاح الطبق بعيدا عنه ، وجذب بعقفته بردة الحمار ، فاتخذ منها وسادة ، وأغمض عينيه •••

رأى نفسه يسير فى زقاق يسده فى النهاية حائط سميك ، احتار كيف يعبر هذا المر المغلق • وفجأة قفز أمامه ابنه خالد الذى مات غرقا فى غدير ماء •

خاطبه ابنه فى لهجة الابن البار :

- فى اى شىء تفكر يا أبى ؟

أجابه بتلعثم :

- فى الاستمرار •

قال خالد فى لهجة الجاد :

- سأفتح لك بابا - يا أبى - فى هذا الزقاق ...

سأله الزين مستفهما :

- والحائط ؟ ... والزقاق المسدود ؟

أجابه :

- سأفتح لك بابا فيه كى تسمير أشواطا أخرى !

ولكن ابنه لم يطل الوقوف أمامه ، بل تركه فى مكانه واخفى دون أن يسقط الجدار السميكة ... أو يفتح له بابا جديدا •
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وآستفاق الزين على صوت أم الخير وهو يجلجل :

- استفق ويكفى من الهذيان !

- ماذا دهاك ؟

- قلت لك انك تهذى ...

- دعينى لشانى •

- والحمار ؟

- ماذا دهمى الحمار ؟

- قطع رباطه وعرب إلى البشر •

أحمد ممتو

الفِصَّة من المنتج إلى المستهلك

مقدمة : (*)

لبحث المراحل التي تمر بها القصة من المنتج إلى المستهلك أرى ضرورة توضيح أن المنتج هو ذلك الذي يمثل في نفس الوقت شخصية الخالق الذي يقطع إنتاجه من افكاره ، وكذلك شخصية صاحب البضاعة الذي يحس بحاجته إلى تبليغ بضاعته (أى بيعها بمقابل مادي) إلى طرف مقابل هو المستهلك الذي يجمع في نفس الوقت الشخصية الفكرية والمادية .

وما إن تتجاوز القصة صاحبها الكاتب لكي تخضع لعملية النقل حتى تصبح بضاعة قابلة للترويج وتخضع لكل عوامل العرض والطلب . لذلك أرى ضرورة توضيح مرور القصة (الاثر الادبى بصورة عامة) من كاتبها إلى قارئها لا يمثل إلا مرحلة من الدورة الفكرية التي تنشأ وتتطور من خلال عملية التسلسل من كاتب إلى قاعدة قراء لكي يكون لها رد فعل معين ، وتمتد سلسلة الفعل ورد الفعل . ويمكن أن نلاحظ أن الاثر الادبى - والمكتوب منه على وجه الخصوص - يخضع للعلاقة التالية : علاقة الكاتب بالقارئ عن طريق الواسطة التي يمثلها الناشر . وهذه العلاقة تنشأ حول الاثر الادبى . وهذه العلاقة تجسم الصلة التي تقوم بين المنتج والمستهلك من خلال الدورة

(*) أقيمت في الملتقى السنوى لنادى القصة المنعقد في المركز الثقافى الدولى بالحمامات (22 - 23 - 24 أوت 1975) .

الاقتصادية • لذلك يمكن أن يراعى فى مراحل مرور القصة من كاتبها الى قارئها الوجهان التاليان لهذه العلاقة •

- الوجه الاقتصادى الذى تمثله العملية التجارية لطبع القصة وترويجها •
- الوجه الادبى البحث الذى يتمثل فى • عملية تبليغ ، والذى يعنى من ناحية الكاتب الحاجة التعبيرية ، ومن ناحية القارئ الناحية الاطلاعية •

ومن خلال وجهى عملية التبليغ والاستهلاك هذه نلاحظ وجود علاقات تربط القصة أو الاثر الادبى بأحد القطبين : الكاتب أو القارئ ، لذلك تكون هذه العلاقات :

- علاقة القصة بكاتبها •
- علاقة القصة بقارئها •

من خلال عمليتى التبليغ والاستهلاك المتتاليتين يخضع الاثر الادبى لتأثير زمنى • لذلك يمكن ان يكون عرضة للتحويل • ولايجاد ردود فعل أخرى - وخاصة بتحوله من إنتاج فكرى الى مجرد حروف - تلا مساحة ورقية معينة • وهذه التحويلات تمثل مرحلة من مراحل زمن الاثر الادبى • ويمكن ان تخضع لعوامل مختلفة قد تكون أساسية فى الحد من التأثير الذى يمكن ان تحدثه القصة أو تعطيه امكانيات انتشار اوسع • لذلك تبدو المرحلة التى تمر بها القصة من كاتبها الى قارئها (أى مرحلة الطبع عن طريق الوسيلة الادبية ناشرا كان أو موزعا) مرحلة أساسية فىفاعلية القصة كبضاعة من الدرجة الاولى ، ثم كإثر أدبى فكرى يعتمد على مقومات داخلية هى انعكاس للامكانيات الفكرية التى يتمتع بها الكاتب • وتكون النتيجة التى يمكن أن تنتهى اليها هى أن مراحل مرور القصة من كاتبها الى قارئها تمثل امتدادا زمنيا فى حياة ذلك الاثر الادبى • وتكون هذه الفكرة عاكسة للمراحل التى سبقتها (مراحل الخلق الادبى) وحاملة لبذور المراحل الموالية :

(مراحل رواج وتداول الاثر الادبى بين القراء) مع ملاحظة أن الزمن الذى تستغرقه كل مرحلة من هذه المراحل زمن نسبى ، وتحدده عوامل متعددة • لذلك يمكن أن تمتد مرحلة الخلق أطول من مرحلتى الطبع والتوزيع ، كما يمكن

أن تستقطب مرحلة التداول بين القراء الجزء الأكبر من فترة وجود الأثر الأدبي ، واعتباراً من هذا المفهوم يمكن أن نأخذ القصة (أو الأثر الأدبي بصفة عامة) على أنه كائن يعرف مراحل نمو مختلفة ، وذات تواتر متغير ، كما أنه يخضع للتحوير ويمكن أن ينتهي دائماً إلى الاندثار . ومن خلال فترة وجوده يكون خاضعاً لعملية الفعل ، ورد الفعل ، وطرفاً في علاقات متعددة بالأشخاص والأشياء . وبهذا الاعتبار ، فهذه القصة أو الأثر الأدبي بصفة عامة كائن يتطور ويعمل على البقاء في حيز فضائي ، وفي نطاق زمني . ولكن مقياس الفضاء والزمن لا يخضع إلا للإمكانات التي يوفرها الفكر البشري من خلال عمليتي الطباعة والتوزيع . وذلك ما يعطى لمفهوم الكم بعداً أساسياً في حياة الأثر الأدبي :

① العلاقات التي تقوم بين القصة وكتابتها :

هذه العلاقات تمتد في الأزمنة التالية :

– قبل مرحلة الكتابة – بعد مرحلة الكتابة وقبل الطبع – بعد الطبع وقبل القراءة – بعد القراءة وقبل الاندثار المادي

1 - 1 العلاقات بين القصة وكتابتها قبل مرحلة الكتابة :

تمتد هذه العلاقات إلى حد وضع القصة على شكل مساحات مكتوبة ، وتكون تعنى تلك العملية الغامضة والفكرية التي تسمى عملية الخلق ، وهي خاضعة للتكوين الفكري والفيزيولوجي للكاتب ، كما أنها قد تكون نتيجة لعوامل متعددة من بينها مشاهد ومطالعات التقطها الجهاز الواعي وغير الواعي للكاتب . وتكون هذه العلاقات غامضة جداً لأنها نتيجة لعوامل معقدة ومتعددة لذلك فهي علاقات توافقية معقدة وتبقى دائماً مميزة للشخص ، وفي هذه المرحلة التي تكون فيها القصة مجرد خليط من الأفكار تمثل ردود فعل الأفعال متعددة تكون العلاقة التي تربط الكاتب بأفكاره تلك « القصة » ، علاقات احتمار داخلية – أي علاقات تصرف على شكل طاقة في جسد الكاتب وتفكيره لكي تتجسم وجوداً فكرياً مادياً . ويكون الكاتب في كل هذه المراحل خاضعاً

لتحولات معقدة ، ويمثل المحتضن الذى تنهى تحولاته الفكرية تلك بعملية مادية وأساسية فى تجسيم وجود الاثر الادبى وهى الكتابة .

1 - 2 العلاقات بين القصة وكاتبها فى مرحلة ما بعد الكتابة وقبل الطبع :

خلال هذه المرحلة التى تكون خاضعة لتوفر وتهيؤ وسائل التبليغ (النشر على وجه الخصوص) تكون العلاقة التى تربط القصة بكاتبها هى علاقة امتداد لمرحلة الخلق السابقة مع تميز هذه المرحلة بتركيز افكار الكاتب حول وجود مادى هو الشكل البدائى الاالى للقصة مكتوبا وخلال هذه المرحلة تكون القصة خاضعة لعملية التحوير التى يمكن أن تكون مجرد نسخ كما يمكن ان تذهب الى اعادة الصياغة عمليا ، وأحيانا الى النفى . ومنذ هذه المرحلة تكون القصة مهددة بالاندثار كآثر مادى ، وتكون حظوظ حفظها أضعف فى هذه المرحلة التى لا تقوم فيها العلاقات الا بينها وبين كاتبها .

1 - 3 علاقات القصة بكاتبها بعد الطبع وقبل وصول القارىء كمجموعة : وتشمل هذه المرحلة مرحلة الطبع أيضا . وتكون علاقتها بكاتبها هى علاقة محافظة ورغبة فى الحفظ من التحوير والتحريف والاتلاف . وفى هذه المرحلة تتجسم علاقة المسؤولية الفكرية التى تحملها القصة والتى تخضع لها كاتبها وتكون هذه المرحلة حاسمة فى استمرار وجود القصة خاصة اذا كان الانتاج الادبى يخضع لمراقبة ما .

1 - 4 علاقات القصة بكاتبها بعد القراءة وقبل الاندثار : تكون هذه المرحلة هى مرحلة القراءة . وينفصل الاثر الادبى فى وجوده عن كاتبه تماما ، ويتحول الى مجرد بضاعة تعامل فى نطاق قانون العرض والترويج والترغيب والاقبال وتقوم على علاقة المقابل الادبى بين الكاتب واثره .

وهذه المرحلة توفر كذلك للكاتب المقياس الذى يسمح له باستشفاف مدى الوظيفة التبليغية التى تكون لقصته من خلال ردود الفعل التى تحددها .

② العلاقات التى تقوم بين القصة وقارئها : اذا استثنينا من جملة القراء الكاتب الذى يمثل القارىء الاول لقصته يأتى بعده الناشر كمتقبل أول لذلك

الانتاج • وتقوم العلاقات بين القصة وقارئها بصفة عامة خلال الازمنة التالية :

— زمن ما قبل النشر — زمن ما بعد النشر وقبل الاندثار •

2 - 1 العلاقة بين القصة وقارئها خلال مرحلة ما قبل النشر ، وتكون هذه

العلاقة بالدرجة الاولى بين القصة وناشرها وهي تكتسى فى هذه المرحلة البعدين الفكرى والمادى فى تفكير الناشر • ويكون تصور البعد الفكرى من أجل توفير ربح مادى أوفر • وفى هذه المرحلة تعرف القصة ايضا صفتها المادية كمجموعة حروف تملأ مساحة ورقية معينة تعنى مقابلا ماديا ما • وخلال المرحلة التى تمر فيها القصة الى المطبعة تكون مجرد رموز رصاصية ثم حبرية على الورق • وقد لا تعنى اكثر من ذلك بالنسبة لعامل المطبعة الذى يمثل اسوأ قارئ محتمل • وفى هذه المرحلة تكون القصة خاضعة ايضا للتحويلات العشوائية فى بعض أجزائها (نتيجة الأخطاء المطبعية خاصة) • وطوال هذه المدة تعامل القصة من طرف متناولها على أنها بضاعة لم تمر بمراحل أولية لتحويلها الى بضاعة قابلة للاستهلاك •

ARCHIVE

2 - 2 العلاقة بين القصة وقارئها خلال مرحلة ما بعد النشر وقبل الاندثار :

امتدادا للمرحلة السابقة تكون عملية الترويج والترغيب الدعائية • وخلال هذه المرحلة ايضا يكون البعد الفكرى لمضنون القصة كامنا ، يطفى البعد المادى باعتبارها بضاعة قابلة للتسويق • ولكن عندما تصل القصة الى القارئ المتعدد الميزات والامكانيات المادية والذهنية تسترجع القصة بعدها الفكرى من جديد ، وتصبح فى نفس الوقت مضمونا وبضاعة تجارية ، وتكون القيمة المادية التى تخضع لها مقياسا نسبيا لشخصية الكاتب وللمضنون الفكرى لها ، كما انها تكون ايضا انعكاسا للواجهة الاقتصادية التى تمرض خلالها (مستوى المعيشة ، واسعار موادها الأولية الخ) • وتكون هذه العوامل خاضعة ايضا للكم الذى تتوزع عليه •

نلاحظ ان القصة التى تبلغ هذه المرحلة توفر لها حظوظا اكبر للاستمرار وللثأثير • وبذلك يمكن ان تتوفر لها فرصة الانتشار والحفظ مدة طويلة كما يمكنها أن تكون منبع ردود فعل مختلفة ، وتكون بداية « لسلسلة أخرى من

ردود الفعل الفكرية التي تحرك دورة اقتصادية ، (تنشيط الانتاج الادبي) ونظرا لنسبية القيمة التي تكون لاية قصة وللعوامل المتعددة التي تخضع لها فى هذه المرحلة وفى غيرها من المراحل ، والعلاقات التي تقوم بينها وبين قارئها المتعدد غير قابلة للحصر ..

③ **العلاقات التي تخلقها القصة بين كاتبها وقارئها :** تكون العلاقة الاساسية تخلقها القصة بين كاتبها وقارئها على مستويين : - علاقة مادية - علاقة فكرية ..

اما العلاقة الفكرية فهي تبقى دائما نسبية وتعنى دائما الرفض أو القبول لافكار الكاتب من طرف القارئ. وفى كلتا الحالتين تتسبب فى عملية تأثير فكرية وكأى عملية فكرية لا بد لها من تسلسل عن طريق الفعل ورد الفعل قد يمتد فى محيط دائرى يتوسع من الكاتب فى انطلاق قاعدة عريضة من القراء ثم من قارئ الى آخر الى نهاية التصور .

اما العلاقة المادية فهي تعكس صفة البضاعة التي تكون للآثر الادبي وتكون دافعا وسببا لوجود مادي للقصة ولتحريك لجانب اقتصادى فى حياة الكاتب وفى حياة القارئ (بما فى ذلك الناشر) أى فى حياة المجتمع .

3 - 1 **العلاقة بين الكاتب والناشر :** هذه العلاقة تبادلية تقابضية مقابلا لمقابل تبرز بالدرجة الاولى الصفة المادية ، والمقابل المادى للقصة ، وهذه العلاقة تخضع للتنظيم الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع والناشر فردا أو مجموعة ، ووجوده فى نظام رأسمالى أو اشتراكى أو شيوعى يؤثران كثيرا على القيمة المادية التي يمكن ان تعبر بها القصة ، ويكون المقابل المادى الذى يتناوله الكاتب خاضعا للمعطيات الاقتصادية والاجتماعية والاختيارات الاساسية للمذهب السياسى والاقتصادى الذى يخلق المجتمع الذى تنتج فيه القصة .

3 - 1 - 1 **تأثير النظام الاقتصادى الحر (الرأسمالى) على ترويج القصة :** فى نطاق النظام الاقتصادى الرأسمالى تكون القصة خاضعة فى عملية ترويجها الى قاعدة العرض والطلب وتلعب عملية الدعاية والترويج دورا أساسيا فى هذا النطاق . ويمكن أن تتناول الدعاية شخصية الكاتب وماضيه الادبى لعكسها على قصته تلك باعتبار ذلك ضمانا كافيا لتقريبها من القارئ ، كما

يمكن أن يعتمد أيضا الى العناية بالاخراج والطبع كعامل ترغيب يخاطب الناحية الجمالية والذوقية في القارئ ، كما ان الاعتماد على ابراز جوانب معينة من المضمون القصصى تكون مرغبة أيضا للقارئ. تقربه من القصة . كل هذه العوامل قد تساعد ظروف خارجية عن نطاق الاثر الادبي وكاتبه كتوجيه الراى العام وجهة اجتماعية معينة تكون بعض جوانب القصة صدى لها .

3 - 1 - 2 تأثير النظام الاشتراكي الشيوعى على ترويج القصة : فى ظل نظام اقتصادى مثل هذا يكون الجهاز السياسى هو المحرك الاساسى للنظام الاقتصادى وتكون عملية تقييم الاثر الادبى خاضعة لعدة اعتبارات راجعة لاختيارات مذهبية بالدرجة الاولى كما ان مثل هذا النظام يوفر حظوظا أكثر لانتشار انكم على حساب الكيف أحيانا . وفى مثل هذا المناخ تصبح العلاقة التى تقوم بين كاتب القصة وقارئها علاقة لا تراعى بالدرجة الاولى الناحية المادية لان عملية تعبير القيمة المادية للاثر الادبى تخضع لمفهوم ثابت وقار يوظف الكتابة كأى عملية تجارية أخرى . وفى حالات علاقة بين الكاتب وقارئ قصته تكون فكرية بالدرجة الاولى .

3 - 1 : 3 تأثير النظام الاشتراكي الحر (كما فى بعض بلدان العالم الثالث) على ترويج القصة : النظام الاقتصادى الهجين الذى يعتمد فى هياكله على المؤسسات الحكومية وعلى المؤسسات الخاصة يكون الميزة التى تميز العلاقات التى تقوم بين الكاتب وقارئ قصته على درجة كبيرة من الغموض . ونتيجة لذلك تفقد الوساطة التى توصل القصة من قارئها الى كاتبها صفاتها المميزة جدا التى كانت لها فى ظل النظامين الشيوعى والرأسمالى . ونتيجة لذلك تفقد الهياكل الاساسية التى تمثل جهاز النشر الذى يمكن ان يجسم الوجود المادى الجماعى للقصة . وفى مثل هذه الحالة لا يستغرب ان يسجل تراجع فى كيف وكم القصة التى تكتب خاصة اذا كانت الاختيارات المذهبية لا ترى فى نشرها وظيفة أساسية فى المجتمع .

3 - 2 العلاقة بين الكاتب والقارئ : بمفهوم القارئ المتعدد المتغير فى الزمن والنضاء لا تقوم فى هذه الحالة أية علاقة مادية ؛ لان الوساطة (الناشر) هو الذى يربط الوساطة بين الاطراف ما عدا الحالة الخاصة جدا التى يكون فيها الناشر هو الكاتب نفسه . ولكن العلاقة الاساسية هى العلاقة الفكرية التأثيرية التى تنتج سلسلة الفعل ورد الفعل والتى تكون مسبباتها الاثر الادبى نفسه .

ومن خلال هذه العلاقة توضع الاسئلة الاساسية جدا فى حياة الاثر الادبى وفى فلسفة وجوده من نوع : ماذا يجب أن نكتب ؟ ولماذا نكتب ؟ وما هو القارىء المقياس ؟ وما هى القصة المقياس ؟ وماذا تعنى الكتابة بالنسبة لصاحبها وبالنسبة لقارئها . وكلها أسئلة تكون الاجابة عنها ، نسبية بقدر الظروف والعوامل التى تتدخل فى تحديدها . وتبقى العملية الاساسية هى عملية الانتاج الادبى وعملية السعى الى ايصاله الى المجموعة على اختلاف مشارعها رغم كل العوائق .

④ اقتراح لتنظيم العلاقات بين منتج القصة ومستهلكها فى المجتمع الهجين اقتصاديا :

– كضرورة أساسية تبدو عملية المطالبة بإيجاد هياكل أساسية للنشر كخطوة أولى بعد التأكد من عملية انسجام ذلك مع الاختيار المذهبي للنظام السياسى والاقتصادى .

– العمل على إبراز أهمية الانتاج الادبى بصفة عامة ودوره الثقافى فى المجتمع وذلك فى نطاق المعطيات التى تسمح له بالحرية وبالنمو السليم عن طريق التفتح والتلاقح والتجاوز .

– العمل على تمكين الاديب من التشجيع المادى اكثر من تمكينه من المقابل المادى لأن الصفة الفكرية للآثر هى التى يجب ان تعتبر بالدرجة الاولى قبل اعتبار تكاليفه وقيمتها المادية . ويكون هذا التشجيع على شكل جوائز تشجيعية تصبح من التقاليد الثقافية (وليس مجرد مسابقات) يعلن عنها لى تنسى (وعلى شكل تسهيل عملية النشر عن طريق الاكثار من الكم المطبوع وتحمل المؤسسات الثقافية بجانب من التكاليف وكذلك توفير القروض والتسبقات المالية كما يقع فى أى ميدان اقتصادى آخر .

تمكين الادباء فى الصفة القانونية لبعض التجمعات من نوع الاتحادات أو التعاونيات التى تمكنهم من التكتل للتجاوز مع دور النشر باعتبارها مجموعة ، ومع النظام السياسى باعتبارها منظمة ثقافية ، ومع بعضها البعض باعتبارها حاجة العصر الى التجمع والاتجاه .

– إلغاء أكبر عدد من الوسائط التى تقف بين الكاتب القارىء لتسهيل عملية التبليغ وللحد من التكاليف لاختصار المراحل والاجراءات التجارية .

أحمد ممو

الحمامات فى 75/8/22

د. ناجي التكريتي

من طرائف

قصة من كمبريدج

يرسل عماد الملحمة عفوا بلا روية ولا تمييز ، فالخفة معدنه والشفافية ديدنه ، والمكان يعلن عنه دائما ، فهو ابدا يقرص هذا بكلمة او يغرس مزحة في أذن ذاك ، في اصعب الظروف وفي اى مكان . وفي مكتبة الجامعة وفي أهدأ غرفها ، تسكونا قراه من بعيد يقرأ باهتمام وانسجام عميقين ، إلا انه ما ان يلمحك ننظر اليه حتى يشير الى مجموعة الكتب التي تكومت امامه يهز راسه بحركة تجعلك تبسم . واذا جلست بجانبه فتاة جميلة فسرعان ما يشعر بك بأنه سعيد بقربها ويبدى اهتماما بالقراءة اكثر . واذا تعب فانه يتمطى متاثبا مشيرا بطرفه الى ما أنجزه من قراءة وكتابة وهو يضيف :

— وزير بلا وزارة اكثر سهولة من هذه العيشة .

وعندما تساله : كيف ؟

يجيب :

— لانه بلا وزارة !

اما اذا حكمت ساعة شرب الشاي فانه يتلفت الى اصحابه بجد واهتمام وهو يخفي لمزاته :

— اقرأوا .. اكتبوا .. اتعبوا .. وغدا عندما تنالون الشهادة وترجعون الى بلادكم فيسكون الجواب : «ماكو» مكان ! ..

وعندما تبسم الوجوه ، يضرب ضربته :

— هيا ، اذن الى شرب الشاي يا اخوان .

اما اذا راي احد الاصدقاء قد تخلف لا نضمامه في الدراسة ، فانه يشير اليه غامزا :

— انهض .. انهض .. كل شهادتنا راتبها واحد .. وكلنا مستقبلنا معلمون في الجامعة .. اني اطمئنتك انك في ككرة علمك وفهمك سوف لن تكون قمندارا !

لم اكن اتوقع وجوده هذا الصباح الباكر في محطة كمبرج ، حيث اخذت مكانني في كرسي منفرد في عربة خالية من قطار يتجه الى لندن . وما إن بدأت أنطلع على الجوانب من خلف زجاج النافذة حتى سمعته يعلن بعد أن رآني :

— ها . ؟ الى لندن ؟

وعندما هزئت راسي بالايجاب ، اضاف ، وهو يقفز داخل العربة :

— وانا ايضا .

ولا اخفي انني فرحت لهذه الصدفة ، إذ أن الطريق سينتهي بسرعة لا سيما أن الوقت قد حان لحركة القطار دون أن يدخل العربة أحد غيره ، فصحت محبيا :

— اهلا اهلا .. عماد !

فرمى حقيبة صغيرة على الرف ، وارتدى على كرسي مقابل ، وهو يخرج علبة السيكائر فوضع سيكارة بين شفتيه بسرعة ثم أخرج علبة الكبريت . وقبل أن يشعل النار أشرت الى زجاجة النافذة حيث كتب على واجهتها «التدخين ممنوع» .

— ماذا حلمت هذا الصباح ؟

هز رأسه متضايقا ، وهو يرجع علبة السيكائر الى جيبه ، وهو يتمتم بكلام مسموع :

— التدخين ممنوع ، والعربة خالية ، وانت رفيقي الى لندن ؟
وثررت محتجا بخبث :

— الا تعجبك رفيقتي ؟

— بالنسبة لي تعجبني ولكن ماذا يقول اصدقائي عندما يستقبلوننا في محطة لندن ؟ كل شخص سيتزل مع فتاة جميلة ، وانا سأنزل معك !
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
— تبا لك !

— لا تبا ولا زدهم غبا . سأنتقل الى عربة اخرى .

وتحرك القطار فجأة قبل أن احس به وقفز الى العربة شابان من ذوي الشعر الطويل والملابس المزركشة . وورغم أنهما جلسا على اقرب مقعدين من الباب بعد ان طرحا حقيبتيهما جانبا فان عمادا حك جبهته بطرف سبابته محتجا :

— تمت السبحة !

ولما لم أعلمه بشيء أردف محتدا :

— قل لي : ما الذي جاء بك الى هذه العربة العارية ؟

— كل العربات خالية، فيندر أن يسافر أحد في مثل هذا الوقت المبكر .

- طبيب ، لماذا اخترت عربة يمنع فيها التدخين ؟
- لأنني لا ادخن
- ولكن الا تعلم انني سأتي ايضا ؟
- وكيف اعلم ؟
- اعني لو جلست في عربة اخرى كان على الاقل باستطاعتي أن ادخن .
- يمكننا ان ننقل في اقرب محطة قادمة
- هل انت ذاهب الى لندن للترهه ؟
- الحقيقة ذاهب لزيارة صديقي انهي دراسته في امريكا وهو عائد الى الوطن فاريد ان اوصيه بعض الوصايا واجمله سلامي الى الاهل .
- وانا ايضا .. قل له يحمل سلامي
- الى من ؟
- الى بغداد كلما تشرق الشمس عليها وتغيب ؟
- ولماذا اخترت هذين الوقتين ؟
- الا قرى .. انا فقدنا هذين الوقتين هنا حتى اننا لا ندرى متى تطلع الشمس ومتى تغيب .
- وهل انت ذاهب الى لندن لزيارة احد ؟
- وكأنه شرد عني قليلا وجفل للسؤال :
- انا ؟
- نعم !
- الحقيقة اني ذاهب الى مكتبة المتحف البريطاني لقراءة مخطوطات
- تهم البحث الذي أشتغل به .

والثفت الى زجاج النافذة كانه ينظر الى شيء عبر الحقول المترامية :
ثم التفت بتكاسل وتمتم بكلمات خافتة :

— أتدري ؟ السفر الى القمر بصاروخ درجة ثانية أسهل من قراءة مخطوطة :
— اقرأ المطبوعة — اذن — فقط .

وعلا صوته موضحا :

— البحث ليس سهلا ، يا صاحبي ، في هذا البلد .. يجب على الباحث ان يقرأ كل الكتب التي تدور حول بحثه .. الكتب المطبوعة القديمة والحديثة .. وفي كل لغة مادامت تمس البحث .. وأكثر من هذا أتدري ماذا ؟

— ماذا ؟

سالت مستفهما ، فاشار الى زجاج نافذة القطار محتجا :

— رذاذ المطر الذي بدأ يتساقط على النوافذ ، حتى يحجب عنا مناظر الطبيعة ، يا للمزعجات ! حتى السفر بالقطار يشعرك بالوحشة في هذا البلد .. من أي طينة خلق هؤلاء الانكليز ؟ ... على فكرة ، هل سمعت تعليق ديقول في خطابه الاخير ؟

— ... ؟

— قال : ان انكلترا ليست دولة اوربية ، انها مجرد جزيرة بالبحر .

— اراك متحمسا لرأيه .. هل اعجبك ؟

— في الحقيقة إنه رأيي أنا ! وقد اقتبسه هو بطريقة من الطرق .. لا ادري كيف .. ؟ ربما أرسل اليه رسالة رسمية احتج عليه أو أهنته !

— وهل هذه أول مرة تذهب الى مكتبة المتحف ؟

— لا ادري .. ربما هذه المرة السابعة بعد المائة .. او المرة ...

– وهل كل هذه السفرات لقراءة المخطوطات ؟

سألته بتعجب بينما زم شفتيه ، وهو يجيب باهتمام :

– مخطوطات .. وبعض الاحيان مطبوعات .. ومرات للتأملات .

– تأملات ؟

سألت مستغربا ، بينما أجاب ، وهو يهز رأسه مؤكدا :

– نعم . اقضي الوقت أدور بين قاعات هذا المتحف الكبير . وفي كل مرة أنتهي الى نتيجة واحدة لا تتغير .

– ما هي ؟

– ان هذا المتحف لا ترى لبريطانيا فيه شيئا ف : البناء وال...

ولم ادعه يكمل اذ عارضته مندهشا :

– الاسم وال... ماذا تريد ان تقول ؟ فقط ؟

وهنا قطب ما بين حاجبيه ، واعتدل في جلسته ، وتحسس عليه السيكاثر إلا ان بصره اصطدم بكلمتي «التدخين ممنوع» فحرك يديه كيفما اتفق وهو يردني :

– اذا اردت الحقيقة فلبريطانيا فيه الاسم فقط .

– الاسم فقط ؟

– على مهلك .. الاسم فقط ..

وراح يعد على أصابعه :

– طراز البناء روماني .. والذي بناه عمال المستعمرات ... ومادة البناء

جلبت من خيرات المستعمرات .. والمخطوطات التي تملأ خزائنه

نهب من مكتبات المستعمرات ..

وتوقف القطار فجأة . وتحرك عماد ليهرب الى عربة اخرى إلا ان المسافرين تدافعوا بكثرة داخل العربة حيث ملأوا الكراسي بسرعة ، وصادف ان جلست بجانب فتاة جميلة ، وجلست بجانب عماد امرأة كهلة يبدو عليها أنها أم الفتاة ، وعلق غامزا :

— الآن وقت السفر .. إننا جئنا مبكرين .. في المستقبل سأستقل قطار الصباح .

فتسألت :

— وقطارنا هذا ماذا تسميه ؟

فاجاب :

— قطار ما قبل الصباح .

وأردت أن أثيرة :

— طيب هل نتحول الى عربة اخرى ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

— لماذا ؟

سال محتجا ، فأوضحت :

— حتى تدخن بحرية .

فحدجني بارتياح :

— نؤجل التدخين ، لأن المكان دافئ هنا .

وأردت أن أستطرد مغيرا الحديث :

— الحقيقة ، انا اهنتك .

— على أي شيء ؟

— انني ألاحظ نشاطك العلمي هذا العام ؟

— والعام الماضي ، لماذا لا تهتني عليه ؟
— ذاك نشاط آخر ، وهذا العام ألاحظك تقضي طول وقتك في مكتبة الجامعة .

أليس جميلا أن يأتي مرء الى كمبرج وهو لا يعرف من اللغة شيئا ، فيبدأها من الصفر ، ثم يلاحق العلم حتى يرى نفسه بعد شهورا يواصل القراءة في المكتبة ؟
— جميل جدا .. حقا هذا شيء تهنا عليه .

وكشر عن أنيابه مبتهجا :

— أما أن يقضي الانسان وقته في مكتبة الجامعة ، فهذا شرط لا بد منه ، مكتبة الجامعة هي مكان للعمل ، وفي نفس الوقت للراحة ايضا، تقرأ وقت القراءة ، وتحدث مع اصحابك في اوقات شرب الشاي .. أية مدينة عجيبة هذه ! أينما تولي وجهك تجد أمامك بناية مختبر أو مكتبة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وعلقت منسجما :

— أو قاعة محاضرات .

فأضاف ، وهو يشير بكلتا يديه :

— واذا يهرب الانسان الى لندن ، فهناك تنتظره مكتبة المتحف .

وتوقف قليلا ليأخذ طابع الجد في حديثه قائلا :

— لا أخفي عليك ، لإنني مجد هذا العام ، فالسنة الاولى كانت خفيفة كما تعلم ، وانت تعلم حالة الطالب عندما يفتح كتابا ويروم مواصلة القراءة ، ولكن لغته لا تمكنه من الاستمرار ..

وابتسم قليلا ، وهو يواصل الحديث :

- برأيي أن الطالب في هذه المرحلة يتمنى لو خلقه الله وزيرا لاستطاع ان يوقع على الاوامر الادارية ، لان ليست هناك صعوبة ، كل الذي يقتضيه قلم « باركر » 51 أو 61 ، ثم يقطب وجهه قليلا على أساس أنه مهتم بالمصلحة العامة ... يوقع ! اما طالب بحث للدكتوراه في جامعة كمبرج - فكما تعلم - شيء آخر .. شيء آخر ...

وقلت ، وأنا ألفت نصف التفاتة الى الغادة التي جلست بجانبني :
- لاني أرى لو تزوجت لكنت أكثر استقرارا ولأنتجت أضعافا .

وتلفت عماد يمينة ويسرة ، كأنه لم يسمعي ، حيث كان القطار يسرع في سيره ، وقد تكاثرت رذاذ المطر على زجاج نافذة العربة القريبة حتى حجبت قطرات الماء المتراكمة منظر الطبيعة ، فتنفس بعمق وتساءل :

- أتعرف السبب الذي من أجله منعوا التدخين في هذه العربات ؟

- إنك لم تجبني عن سؤالتي .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- أنا ؟

- أجل .

- لاني لم أفهم سؤالك .

ونظر الى العجوز بجانبه ماسحا وجه الفتاة بنظرة خاطفة ، ثم حول بصره الى زجاج النافذة كأنه ركز على كلمتي : « التدخين ممنوع » ، وهو يتمتم :

- أي سؤال ؟ .. ماذا تقصد ؟

- الزواج أقصد .. إنه أمر مفهوم .

وحك رأسه وهو يغمض عينيه متأملا :

– الزواج ؟

– أي ؟

وابتسم وهو يوجه الي نظرات ساخرة :

– ألا تعلم يا صاحبي ، إن الله قد حرم علينا بنات هذا البلد قبل أن تأتي إليه ؟

– كيف ؟ أتعني أنهن كتابيات ؟

– لا أعني هذا .. إنما هن محرمات شرعا .

– لم أعد أفهم قصدك .. هل هناك غموض فلسفي ؟

– أبدا .. وجدت آية كريمة تحرمهن علينا تحريما قاطعا .

– تقول وجدت آية ؟

– ولم لا ؟

– وأين كانت هذه الآية الكريمة ؟

– موجودة ، ولكنني أنا الذي اكتشفتها •

– عجيب .

– ليس في الأمر عجب .. ألا تعلم أن الطبيعة زاخرة بالقوى والامكانيات ويأتي العلماء فيكشفون هذه القوى ؟ فالتفاح مثلا كان يتساقط من الاشجار إلى الأرض قبل أن يولد نيوتن .. والأرض كانت تدور حول الشمس قبل ان يخلق كوبرنيكس .

– أعرف ذلك .

– والآية القرآنية الكريمة التي أعنيها موجودة في القرآن ، ولكن أنا أول من انتبه الى معناها الخفي بالنسبة لهذا البلد الأمين .

— دليلك ؟

وابتسم وهو يفتح حقيبته اليدوية ، حيث تبعثرت بداخلها كومة من الأوراق ، وبدأ يبحث بينهما حتى سحب مطروفا ، وأزاح الحقيبة جانبا وهو يرفع رأسه تجاهي ، متسائلا :

— ألا تذكر تلك الفتاة الألمانية ؟

— ماركو تقصد ؟

— هي بعينها .

— ألا تذكر عندما قلت لك إنها وقعت في قلبي موقعا حسنا ، وإنني فكرت بالزواج منها ؟

— أذكر .

— وتذكر أنها اختفت فجأة ؟

— رجعت الى بلدها على ما قلت لي

— تفضل إذن ، اقرأ هذه الرسالة .

— منها ؟

— لا .. إنما اقرأ .. لا بد أنك تذكر (مولر) النمساوي الذي كان يدرس معي اللغة الانكليزية في نفس المعهد .. اقرأ .

عزيزي عماد ...

استلمت رسائلك المتعاقبة التي تشكو فيها أمر (ماركو) وكيف أنها سافرت فجأة ، بعد أن فكرت جادا بالزواج منها .. أنا لا أنكر صدق شعورك ، لأنها المرأة الاولى في حياتك هنا ، قد أعطيتها كل عواطفك وشعورك ، أما هي فلم تعطك إلا جزء من كل . انت تذكر جيدا علاقتنا

كصديقين في معهد اللغة الانكليزية ، وانا لا أخفي عليك أنني لم أكن أعرف (ماركو) أكثر مما تعرف .

إنني بعد ذلك عرفت عنها الكثير ... لقد حدثتني عنها (أنجليكا) . إنها من نفس المدينة كما تعلم ، وان (ماركو) هذه التي عرفتني خجولة حية ، واهنة الصوت ، غاضبة لطرفها طول الوقت ، إنما جاءت لانكلترا هربا من والديها ، إذ بدأت تصخب وهي دون السادسة عشر مع أولاد المدينة ، في كهوف المدينة الليلية ، وعندما ضيق والدها عليها قليلا هربت مع من تيسر ، وبقيت عدة سنوات تنتقل من مدينة إلى أخرى حتى حطت بها الرجال في فينا ، وبعدها فكرت بالمجيء إلى انكلترا ، لا لتعلم اللغة ، وإنما كي تلتقي بأكثر ما تستطيع من الشبان .. أنت لا تدري كيف كانت تقضي أمسياتها ، لأنكما كنتما تلتقيان بعض ليالي الأسبوع فقط .

أنت تذكر اشاراتي المقتضية عندما كنت أقول إن (ماركو) لم نخلق لك ، إنها لا تفقه شيئا من الحياة ، إنها لا تصلح زوجة في بلد شرقي ، إنك بلا شك تذكر جيدا ملاحظاتي تلك ، ولا أشك أنك قدرتها آنئذ ، وآمل أن تتذكرها الآن متحسنا مواقع الحروف .

إن (ماركو) لم تحبك أكثر مما أحببت غيرك ، فالرجال عندها سواء ، ما دامت تقضي وقتا ممتعا مع هذا أو مع ذاك .. أنت لا زلت شرقيا في تفكيرك ، أنا أدرك ذلك جيدا ، فأصدقائي في فينا على الأغلب من بلدان شرقية ، وأنا اعرف كيف يفكرون .. عندما تبسم لأحدهم فتاة ، سرعان ما يبدأ ينظم الشعر في وصف سجاياها العالية ، وطيب محتدها ، ورفع عمادها ، وطول نجادها .

ماذا تقول إذا أخبرتك أنني قد لمحت - وأنا مار بالباص - (ماركو) وهي تتأبط - ولا أخفي عليك - شابا شرقيا ، محروق الجبهة ، ولكن لم أرها اليوم ، وربما سأراها غدا مع آخر ، أما بعد غد فهذا ما لا

أدريه ، وربما ستسافر - كما أخبرتني قبل مدة - إلى بلدها ، لأنها لا تطيق المكوث - حسب تغيرها - في مدينة واحدة ، أنا نفسي لا أعرف لذلك سببا . فهل تعرف أنت السبب ؟

العطلة الربيعية بدأت تقترب ، وقد وعدتني بسفرة إلى فينا ..
لاني أنتظر .

المخلص

مولر

وعندما بدأت أعيد الرسالة في محلها لمحني من خلال عينيه الصغيرتين ، اللتين كانتا تغالبان تعاسا خفيفا ، غير إنه انتبه وهو يصيح بصوت مرمرى :

- ها .. ؟ هل تحلل الزواج من النطيجة ؟

- البنات كثيرات

أجبتة بلا مبالاة وأنا أناوله الرسالة التي دسها في جيبه ، وأضفت قائلا :

- وتلك الفتاة الهولندية ؟ بالجمالها !

- أية فتاة هذه ؟

- نسيت اسمها .. تلك التي كنت تأتي بها دائما إلى نادي الجامعة ؟

- (هيلين) تقصد ؟

- يا لجمالها ، إنها منية المتمني .. إنها النموذج الكامل لجمال المرأة الغربية ، التي يأنس لها الرجل الشرقي ، وبها يسعد .

- ربما يأنس ، ولكن لا أوافقك أن تضيف كلمة : يسعد .

- لماذا ؟

- إنها تجيد أربع لغات أوربية .
- قراءة وكتابة ؟
- وتهجيا أيضا .. ! أتدري ماذا تعني : تهجيا ؟
- ... ؟
- إنها أتقنت اللغات في مهاتها .
- هذا يزيدنا جمالا .
- وهل بقي ، بعد تراكم هذه اللغات ، جمال ؟
- أين ذهب ؟
- إنها أمضت في كل بلد تعلمت فيه لغة أهله ، ما لا يقل عن سنة .
- وماذا في هذا ؟
- ماذا في هذا ؟
- لا أرى بأسا في هذا .
- لا ترى بأسا ؟
- أي نعم ، لا أرى ..
- أكاد لا أفهمك بعض الأحيان ، ماذا حلمت هذه الليلة ، يا آلهي !
- التدخين ممنوع ، والمطر يتساقط ، وأنت تلف وتدور حول الحقيقة .
- الحقيقة ؟
- وصاح كمن نقد صبره :
- نعم الحقيقة ، هل تتصور أنها كانت تقرأ مخطوطات ؟
- إنها كانت تدرس لغة .

— ولكن الفتاة هنا لا تتقن لغة قوم حتى تلتق حواف حريير الشباب ..
أنت تعلم ذلك ؟

— وكيف كانت نظرتها للحياة ؟

— كانت تذهب مع كل من يلوح لها بدعوة .. سواء كانت دعوة
إلى فنجان شاي ، أو دعوة الى قدح عصير بارد ، أو كأس من ال ...

— وهل ناقشتها في تصرفها ذاك ؟

— كانت تقول : إنها حرة ، ولا ترى بأسا من ذلك ، فالمهم — كما
ذكرت — أن روحها صافية كاديم السماء — حسب تعبيرها — ولا
شأن لجسدها لأنها — حسب قولها — لم تخسر منه شيئا .

وعندما رأيته أغمض عيني لحظة ، تتمتم بأشمتراز :

— أبعدنا الله عن المتردبات .

— أذكركم (اليزابت)  <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

— اليزابت ؟ كم اليزابت في هذا البلد ؟

— تلك التي تدرس الأدب الانكليزي ، والتي التقينا بها — لأول مرة —
في مطعم المكتبة ، في العام الماضي ..

— ها ها ها ؟ مس توبلي ؟

— أي نعم .. غاب عن بالي اسمها الكامل .

— ماذا بها ؟

— أين ذهبت ؟ لأنني قلما أراها الآن معك ، بينما كنتما تلتقيان دائما
في المكتبة .

— إنها على خلق كبير ؟

— وهل قلت غير هذا ؟

- فما سبب برود علاقتكما ؟ انا أظن أنها تصلح لك .
- هل أنت متأكد من ذلك ؟
- أظن ذلك
- وما الذي جعلك تعتقد ، يا صاحبي ؟
- إنها حيية . ليست كغيرها من البنات ، ولم أرها تبذل واحدا جديدا كل يوم .
- إنها تريد واحدا الى الأبد .
- وما يمنعك ؟
- الأزل !
- أراك بدأت تفلسف القضية .. هل هي قراءة مخطوطة ؟
- ربما أصعب من ذلك قليلا .
- كيف ؟
- وراءها قصة .
- واحدة ! ! ؟
- هكذا تقول .
- وهل القصة طويلة ؟
- لا ، إنها صفحة من صفحات دى موباسان !
- ... ؟
- إنها تقول : كان في حياتها رجل واحد عرفته عندما كانت في السادسة عشر من عمرها حيث استمرأ خمس سنوات فقط !
- فقط ! ؟
- وتقول إنها تركته ، لأنها — كما تدعي — لم تعد تحبه .. وانه هاجر الى بلد آخر — كما قالت — وانها قررت — كما تتظاهر — بالا تلتقي الا بالرجل الذى ستجد فيه رفيق العمر .

وتوقف القطار فجأة فقد وصل محطة لندن ، وهرع الركاب كل يرتدى معطفه أو يحمل حقيبته ، فحاولت أن أساعد الفتاة الجميلة ، وأفسح لها الطريق بحيا ، فلكزني على كففي وهو يوضح :

— لقد أتعبتني ، لا بد أن أذخن الآن ، كم مرة علمتك — يا بني — إذا رأيت فتاة تمشي مع أمها ، فجمال الام يفتح لك قلب الفتاة .. متى تتعلم .. ؟
وأشعل سيكارتة وسحب نفسا عميقا وهو ينفثه بحرارة ، وما إن وطأنا رصف المحطة وسرنا سوية متحاذيين حتى همست في أذنه :
— على كل حال .. أرى بينك وبين اليزابت شيئا .. ومن يدري ماذا سيخبئه المستقبل ؟

وعندما أشرفنا على باب المحطة الرئيسي ، التفت الى جانبي مجدا :
— اسمع .. وصلنا لندن .. هل أنت مغرم بسماع أسرار الناس ؟
— ... ؟

— هل تعتقد — إذن — أنني سأحطل لنفسي فضلات ما أكل السبع ؟
— أنت على حق .. أنا معك ؟
— أنت معي ؟

— ولم لا ؟
— إذن اعلم أن بنات هذا البلد محرمات علينا شرعا ، لانهن جميعا مخطوطات .

وما إن خلفنا المحطة وراء ظهورنا ووصلنا الى مفترق طريق حتى أشار عماد ، وهو يتباطأ قليلا :

— أنا طريقتي من هنا . سألحق بقطار تحت الأرض .. اتمنى لك سفرة مريحة بلندن .. أما أنا فساذهب لقراءة ال ..
وأكملت مسرعا :

— مخطوطات ...

ناجي التكريتي

1969

د. سبررحان ملحمة عن قصة كعربية الرواية السعودية

من أين ؟ وإلى أين

(*) قد لا يعرف الكثيرون أن فن الرواية في الادب السعودي الحديث هو فن قديم يعود تاريخه الى عام 1930 م . . أي أن عمر الرواية السعودية يكاد يقترب من عمر الفن الروائي في سائر البلاد العربية الاخرى ورغم ذلك فلم تحظ الرواية السعودية الحديثة بالاهتمام الكافي من قبل النقاد والدارسين .

كما أن اهتمام هؤلاء بالشعر والمقال وحتى بالقصة القصيرة كان دائما يفوق اهتمامهم بالرواية بكثير . . والذي يريد ان يعرف شيئا عن الرواية السعودية لا يستطيع أن يجد دراسة أو كتابا أو حتى فصلا من كتاب يوضح له المسار الذي اتخذته الرواية السعودية منذ نشأتها حتى الآن .

ولهذا كانت سعادتي كبيرة عندما قرأت البحث الممتاز الذي كتبه الاستاذ منصور ابراهيم الحازمي عن « الرواية في الادب السعودي الحديث » ونشر في المجلد الثاني من بحوث المؤتمر الاول للادباء السعوديين . . الذي اصدرته جامعة الملك عبد العزيز مؤخرا . . فبالرغم من ان هذا البحث لا يعطينا فكرة شاملة عن الجوانب الفنية للرواية السعودية الحديثة والجذور الحضارية

(*) عن صفحة « أدب وثقافة » لجريدة عكاظ السعودية (1395/11/17 هـ - 1975/11/20 م) .

والاجتماعية والفكرية التى نشأت هنا وعبرت عنها الا أنه يعطينا فكرة متكاملة عن تاريخ الرواية السعودية ومراحل تطورها وأهم نماذجها بحيث نكون عنها صورة شاملة تساعد الباحث بعد ذلك على التعمق فى دراستها .. كما تضع أمامه المخطوط العريضة لتطور الرواية السعودية والانماط الروائية التى ظهرت خلال الأربعين عاما الماضية ..

التجربة الاولى :

ومن أهم ما يلفت النظر فى بداية هذا البحث القيم ان ميلاد الرواية السعودية الحديثة يعود الى عام 1920 م حين نشر الشيخ عبد القدوس الانصارى - قبل تأسيسه لمجلة المنهل بحوالى سبع سنوات - قصة طويلة فى كتيب عنوانها « التوأمين » كتب على غلافها عبارة « أول رواية صدرت بالحجاز » .. وبالرغم من ان البداية كانت مبكرة الى حد كبير . وبالرغم من أنه كان ينتظر لهذه البداية ان تفرخ تيارا روائيا متصلا يصل بالرواية السعودية الى المستويات الفنية التى وصلت اليها فى بعض البلدان العربية الأخرى .. الا أننا نجد كما يقول الباحث انه فى خلال الأربعين عاما الثانية لم تشهد الرواية السعودية تطورا كبيرا فى الكم أو الكيف .. فقد ظلت النماذج الروائية قليلة جدا بحيث لا تزيد منذ صدور رواية « التوأمين » حتى الآن على ثلاثين رواية على أكثر تقدير <http://Aschilwa.net>

وهناك ظاهرة أخرى استلفتت نظر الباحث وهى ان معظم كتاب الرواية السعودية قد اقتصر على تجربة واحدة او تجربتين ولم يواصلوا طريق كتابة الرواية وهو طريق صعب ويحتاج الى جهد ولكنه مثمر فى النهاية لأن الفن الروائى ينفرد عن سائر الفنون الأخرى بأنه فن تصوير الرقعة الاجتماعية الواسعة من خلال الحادثة والشخصية .. ويجد الباحث أن الانصارى مثلا لم يكتب سوى رواية واحدة ، ومحمد على مغربي واحدة ، وأحمد السباعى واحدة ، ومحمد زارع عقيل واحدة ، ومحمد عبد الله مليبارى واحدة . أما حامد دمنهورى وإبراهيم الناصر فهما الوحيدان اللذان كتب كل منهما روايتين .. وربما كانا اللذين استطاعا أن يصلا بالرواية السعودية الى مستوى النضج الفنى ..

أما من الناحية الفنية فيقول الباحث انه ليس بين ظهور رواية « التوأمين » سنة 1930 م ، ورواية « ثمن التضحية » لحامد دمنهورى سنة 1959 م ما

يستحق الوقوف عنده سوى روايتين ظهرتا في عام واحد (1948 م) هما :
« البعث » للاستاذ محمد علي مغربي ، و « فكرة » للاستاذ أحمد السباعي .
أما أكثر الانتاج الروائي السعودي فهو ما ظهر في الفترة ما بين 1960 م
و 1970 م حين بدأ الانتعاش الروائي يأخذ مجراه . وربما كان السبب ان
الاديب السعودي بدأ يدرك أهمية الرواية كشكل فني قادر على التصور
الواقعي للرقعة الاجتماعية . وهنا يثير الباحث نقطة هامة عندما يقول :

ولكن الملاحظ ان الجيل الاول من ادبائنا قد تأثر بالشعر والمقال والمعارك
المحتدمة حول بعض القضايا النقدية ولم يتأثر بالقصة تأثرا يذكر . ويبدو أن
من أهم الأسباب لهذا الوضع هو أن معظم اعلام الادب والفكر في مصر ولبنان
والمجهر كانوا بين الحربين . شعراء ومقاليين ونقادا أكثر منهم قصصيين أو
نقادا للقصة . بل ان القصة العربية نفسها لم ترسخ أصولها أو تحظ
بالاعتراف الصحيح الا في أوائل الحرب العالمية الثانية وما بعدها .

ويبدو أن الباحث يريد هنا ان يعزو ندرة النماذج الروائية السعودية في
الفترة التي سبقت الستينات الى عدم تأثر الادباء السعوديين بالنماذج
الروائية العربية كما تأثروا بالشعر والمقال . ونحن نختلف هنا مع
الباحث . فظهور فن من الفنون الادبية في بلد ما لا يمكن ان نعزوه الى
انعدام روافد التأثير الآتي من الخارج . وإنما تنشأ الحاجة الى التعبير الادبي
والى ظهور شكل أدبي جديد عندما تنتهي التربية الاجتماعية والثقافية لمثل
هذا الشكل الجديد . وهكذا كان ظهور رواية « زينب » للدكتور محمد
حسين هيكمل في الادب المصري عام 1917 م تعبيرا عن الحاجة الى تصوير
الواقع الاجتماعي بالرغم من الروح الرومانسية التي تسود هذه الرواية
الاولى . وكذلك كان ظهور رواية توفيق الحكيم « عودة الروح » في 1917 م
تعبيرا عن واقع اجتماعي وحضاري يفرض نفسه على الاديب ولا يمكن تصويره
من خلال أى شكل أدبي آخر غير الرواية بما تعطيه للكاتب من مساحة زمنية
وتنوع في الحدث والشخصيات . ومن قدرة على التفصيل .

حصيلة الرواية السعودية :

الا ان من أهم ما قام به الاستاذ منصور ابراهيم الحازمي في هذا البحث
القيم عن الرواية السعودية تقسيمه العالمى لانماط البرواية السعودية الى
انواع أربعة هي :

(1) الرواية التعليمية الاصلاحية •

(2) الرواية التاريخية •

(3) رواية المغامرات •

(4) الرواية الفنية •

ونحن لا نعييب عليه في هذا التقسيم سوى انه يفتر الى تعدد النماذج .. فالرواية التاريخية مثلا يفرد لها الباحث نوعا بأكمله بينما لا يستطيع ان يجد نماذجاً للدراسة في هذا النوع الا رواية واحدة يتيمة على حد قوله هي رواية « أمير الحب » للاستاذ محمد زارع عقيل (نشرت في مجلة المنهل سنة 1385 هـ) .. ورواية واحدة لا تكفى طبعا للدراسة كرافد من روافد الرواية السعودية .. ويبدو ان التزامه هنا بمنهج الدكتور عبد المحسن طه بدر في كتابه عن تطور الرواية العربية .. وتقسيمه المنهجي لانواع الرواية العربية هو الذى حدا به ان يقدم تقسيما ماثلا لانواع الرواية السعودية قد لا تحتمله على الاقل من ناحية الكم ..

الرواية التعليمية الاصلاحية :

يعرف الباحث الرواية التعليمية الاصلاحية بأنها الرواية التى لا تهدف الى تقديم قصة متكاملة من حيث الحبكة ورسم الشخصيات والحوار .. الخ . بل تهدف فى الدرجة الاولى الى التعليم والاصلاح بغض النظر عن مواصفات القصة الفنية وشروطها .. وهو يجد ان من نماذجها السعودية رواية « التوأمين » للاستاذ عبد القدوس الانصارى ، و « البعث » للاستاذ محمد على مغربى ، و « فكرة » للاستاذ السباعى .. اى معظم الروايات التى يقول فى مقدمته انها تستحق الوقوف عندها دون غيرها من الروايات التى ظهرت على مدى نصف القرن المنصرم .. فهل نشتم من ذلك ان الرواية السعودية منذ نشأتها حتى الستينات فى القرن الميلادى تسودها الروح التعليمية والاصلاحية اكثر من اهتمامها بالمقومات الفنية للرواية . هذا سؤال للباحثين يحتاج الى دراسة أكثر تفصيلا حتى تستطيع اصدار هذا الحكم ..

والباحث فى تصنيفه لهذه الروايات الثلاث كروايات تعليمية اصلاحية يجد ان الكتاب الثلاثة على اختلاف أساليبهم يهدفون من وراء الرواية الى

فكرة ثابتة يريدون تثبيتها .. فالانصارى مثلا يريد ان يثبت « اضرار المعاهد الاجنبية المؤسسة في الشرق على مستقبل الشرق نفسه » . وذلك لما تلقنه لتأشئته من تعاليم التغرب والتذبذب المشين . اما السباعي فيهدف من وراء روايته الى هدف تربوي محض .. وفي رواية « البعث » للمغربي نجد ايضا نزعة اصلاحية مهيمنة .. بالرغم من ان رواية المغربي تقدم لنا شخصية متطورة والبطل فيها يمر بعدة تجارب تصقله وتعديل من تفكيره ومشاعره ومواقفه من الحياة والناس مما يجعلها اقرب الى الرواية الفنية من مثيلاتها .

الرواية التاريخية :

وكما سبق ان اشرنا لا يجد الباحث من نماذج الرواية التاريخية في الادب السعودي الحديث سوى رواية « أمير الحب » للاستاذ محمد زارع وهو يلاحظ فيها تأثير الكاتب الشديد بأسلوب جورجى زيدان في كتابه « الرواية التاريخية » حين يقسم الرواية الى شقين متميزين ..

شق تاريخي وشق عاطفي او شق حقيقي وشق خيالي .. كما يتبع أسلوب زيدان في استثارة فضول القارئ وتشويقه الى متابعة القصة وذلك باخفاء حقيقة احدى الشخصيات حتى الفصول الاخيرة من الرواية .

وهو يرى في النهاية ان هذه التجربة الوحيدة في الرواية التاريخية لم تستطع ان تصل الى نماذجها العربية الناضجة المتطورة عن فريد أبى حديد ونجيب محفوظ وعلى باكثير وعادل كامل .

وفي رأى انه كان يجب استبعاد هذه الرواية تماما من مجال البحث حيث انها لا تمثل تيارا مؤثرا أو غير مؤثر في الرواية السعودية .. ولا تستطيع ان تشكل في حد ذاتها نمطا من انماطه ..

رواية المغامرات :

وتحت هذا النوع الذي يعرفه الباحث بأنه يهدف بالدرجة الاولى الى التسلية من خلال مجموعة من المغامرات التي تعتمد على الدسيسة والمؤامرة وتتميز غالبا بالعنف والاثارة يدرج الاستاذ الحازمي معظم ما انتجه كتاب الرواية السعودية ويذكر لنا أمثلة : « الارقاء » لمحمد الافغاني ، و « الزوجة

والصديق ، لمحمد عمر توفيق ، و « ليلة من الظلام » لمحمد زارع عقيل ،
و « غربت الشمس » لمحمد عبد الله مليباري ، و « ذكريات دامية » ،
و « وراء الضباب » لسامية بنت الجزيرة ، و « سمراء الحجازية » .

ويلاحظ انها تشترك جميعا فى الخصائص العامة لرواية « الحادثة »
لعبد السلام هاشم حافظ . انخ . ٠٠ وأبرزها : اعمال البيئة وجمود
الشخصية واثارة الانفعال . ٠٠ كما انه يلاحظ اشتراك هذه الروايات فى
التحرر من قيود الزمان والمكان فمعظمها تجرى أحداثه خارج السعودية . ٠٠
وتقسيمها للشخصية الانسانية الى لونين لا ثالث لهما هما الابيض والاسود
اى اما الخير المطلق أو الشر المطلق مما يجعل نظرتها للنفس الانسانية
المركبة نظرة ضيقة . ٠٠ كما ان تركيزها على الحادثة لا على الشخصية يقع فى
المحل الاول من اهتمام الكاتب . ٠٠

الرواية الفنية :

ولا يجد الباحث فى الادب السعودى الرواية الفنية التى تتميز بتماسك
البناء وتوافر الصراع وتقييد بقانون السببية وتطوير الشخصية وتعالج
قطعا معينا من المجتمع ، لا يجد من نماذج هذا النوع من الرواية فى الادب
السعودى سوى « ثمن التضحية » و « غربت الأيام » للمرحوم حامد
دمهورى ، و « ثقب فى رداء الليل » للاستاذ ابراهيم الناصر . ٠٠ ورغم انها
- فى رأى الباحث - لم تخل جميعا من جوانب الضعف الا انها تمثل اتجاها
جديدا لم تألفه الرواية السعودية من قبل . ٠٠ وتتمثل ملامح هذا الاتجاه
الجديد والناضج فى معاشية الواقع والاتصاف به من خلال تصوير البيئة
المحلية ، وكذلك عدم الالتقاء بشخصية او شخصيتين تتركز حولهما الاحداث
أو تمنح لهما البطولة كما هو الحال فى الانواع القصصية الاخرى . ٠٠ بل
تعالج الرواية العلاقات الانسانية المتشابهة بين مجموعة كبيرة من الناس
يمثلون شريحة من المجتمع كما تتميز الرواية الفنية السعودية ايضا بتركيزها
على ابراز الصراع والتوتر واستخدامها للتحليل النفسى .

د . سمير سرحان

حياة بن السيني كسار على كسار

في حين البائس أناس كثيرون •• كثيرون •• أناس يتغنون بطشا
ويرتوون مكرًا • من غضب منهم ذبح ، ومن ابتسم طعن •

شارعنا كتيب •• كتيب • الشقاء بغمرة •• والمؤس يسكنه • والأبالسة
تنزلق على جدرانها الخربة •• العواصف تكاد تهدم دياره لتقذف بنا إلى
الشارع المجاور ، الشارع الثاني المزدهم بأناس يتغنون بطشا ويرتوون مكرًا •

صحنونا يوما لنجد شارعنا قد امتلأ صخورا تكسست على الأرصفة والطرق
وكل من قرب منها تعثر وهوى •

بالأمس تعثر فتى وهوى • انشرخ رأسه إلى شطرين • تجمع رجال الشارع
الثاني ليقطعوا أوصاله ويقتسموا لحمه مهللين مباركين وسط نحيب الثكالي
ونديب العذارى •

سألنا أن يخلصونا من هذه الصخور اللعينة ، فلم يسمع أحد النداء ،
هتفتنا بصوت أقوى ، ابتسموا ساخرين من أصواتنا القبيحة ، غضبنا وقد
أعدنا الصراخ ، فهجموا علينا ثائرين مزمجرين ، رمونا بالحجارة وأشبعوا
أجسامنا ضربا • تركونا لما رأوا أننا فقدنا النطق وعجزنا عن الحركة • تركونا
وراحوا ليبحثوا عن غيرنا •

كل من ابتسم في شارعنا الكثيب أصابه الحبل ، وكل من رفع صوته
منشدا أصابه البكم ، كل من تحرك أصابه الشلل . الحق عندنا كفر ، العدل
غباء وحقق . والكلام جنون وهذر .

في حيننا آلاف القلوب تتعذب .. ومئات النفوس تتألم ولا أحد يقدر أن
يتكلم ، آلاف الحمير تمشى وتمشى مع الزمن ، تسيير ، تسيير ولا تفهم ،
يقصف الرعد ، يبرق .. تمطر السماء دما لو هي حاولت أن تفهم ..

عندما تعثرت قدمي وانزلت في حفرة متربة ، لم أكن أعرف ان الوحل
سيجتاحني .. يجتاحني حتى يفرقني في قبره المتحرك ، لم أصرخ فلم يكن
لي صوت لكي أصرخ ، إنما بكيت وبكيت في سري ، مددت لي يدك ، كانت
يدك بضعة مغرية ، أخذت أقبليها وأقبليها ، استنشقت عبير رجولتك الفياضة
منها ، وأنا أغوص .. وأغوص ولا أزال أغوص في الوحل ، سحبت يدك
فجأة لتتركني أغوص في قبري المتعفن وقد نسيت أن تنتشلني من بؤرة
الوحل التي غصت فيها ، ونسيت أنا أن أتشبث بيدك وأقفز بعيدا ، فقد
كانت رغبتني لتقبيلها أعنف وأقوى من الهروب من عفن قبري المتحرك ،
ولففتي لشم رائحتها الندية أشد إلحاحا من القفز من بؤرة الوحل ، فجأة لم
أجد يدك . لم أجد سوى ندى قلات حارة على شفتي وطيف يد عذبة التقبيل
يفعم مقلتي ، فيملؤني شوقا وحنينا .

وأنا لا أزال أغوص .. وأغوص في الوحل ليس لي أي أمل في النجاة ،
إنما كل أمل هو أن تمتد الي يدك ثانية لأقبليها أكثر وأكثر وأكثر . جسمي
ينزف دما وقد خضبته الجراح . قدماي أتبعتهما الأحجار المنغرزة فيهما
بالأشواك وأنا لا أحاول أن أتزحزح عن مكاني ، لا أحاول الهروب إنما أبقى
أحلم . وأحلم وانتظر . أنتظر يدك الدافئة العذبة لأقبليها وأقبليها .. ثم ..

الأنين يزداد .. والعويل يكثر ويكثر في شارعنا البائس . الصخور لا
تنفك تهوى الواحدة تلوى الأخرى تتغذى من اللحوم الآدمية وترتوي من الدماء
البشرية . كانت السماء تمطر دما والارض تنشق ، وتنشق لتصبح براكين
نار مدمرة ، إنزلت قدماي وغاصتا ، إنزلت معها لأغوص في براكين النار
المستعرة ، فجأة لاحت لي يده من خلال السنة اللهب ورذاذ الدماء المتساقطة
مطرا من السماء الغاضبة . يد بضعة . حلوة . جذبتها نحوي لأقبليها وأشبعها
لثما ، لكن ما إن أمسكتها حتى تجمدت وتصلبت الى أن غدت كقطعة فولاذ

حامية لتمسك بعنقى وتضغط وتضغط ، والدم ينهمر أودية من السماء ..
والسنة اللهيپ تضطرم وأنا أتلوى .. أتلوى ولا أزال أغوص .. أغوص
وأنظر اليد الناعمة التى أعرفها ، لأقبلها وأحلم .

سألت ، سألت كل من صادفنى فلم يجبنى أحد ، وكل من سمعنى سقط
على الارض جثة هامدة لا تتحرك ، فعدت أجرى عبر الشوارع الملوثة بالبحث
المزقة ، أصرخ .. وأصرخ علتى أجد من يفسر لى الرؤيا .. من يستطيع
أخيرا أن يتكلم .

عدت مع الليل أتجشأ مرارتى .. أتقيأ حرمانى . واجترأ حزائى ويأسى .
عدت أبصق وجودى فى البيت وقد كرهت نعيقهم الذى لا يجدى نفعا .

هم يصرخون لأنهم فقدوا لغة الكلام .. لا أحد منهم يعرف كيف يتكلم .
البكم يشل السننتهم . والصمم يسد آذانهم فيقوا كحيوانات جريحة تعوى
وتعوى ولا تتكلم . وأنا مثلهم لم أعد أقدر أن أصرخ ولا أتكلم . إنما أبقى
أحلم ، وأحلم وأنظر متى سيقبض يدك البضة العذبة لتنتشلنى من دواميس
حينئذ البائس .. من حفرة قبرى المتعفن وتأخذنى الى دنيا جديدة بلا وحل ولا
دم ولا حيوانات جريحة تنعق ولا تتكلم .

فى حينئذ وفى الشارع الثانى .. أناس كثيرون .. صخب كثير .. لؤم
كثير .. وكلام كثير ، كثير . لا يفئا الناس هناك يتكلمون ويتصارعون .
حاولنا مرارا أن نفهم لكننا عبثا حاولنا أن نعى ما يقولون ، لغة غريبة لا
نعرفها ، نغمة جنائزية لا نستطيعها ، كلماتهم عنيفة ، أعنف من أفعالهم ،
أصواتهم ضخمة قبيحة ، أضخم من هاماتهم . نسمع صداها يتردد عبر أجواء
شارعنا الكثيب يفرقع فى سماننا حبه من الدم لينزل على البيوت فتتهشم كما
تتهشم رؤوس أولادنا الذين تطاردهم الذئاب كل يوم ، ذئاب الشارع الثانى .

قيل لنا أننا سنفهم يوما ما يقولون وسنتعلم يوما أن نتكلم مثلهم ونرفع
أصواتنا عاليا ، نهتف بكلمات أضخم من أفواهنا وأكبر من هاماتنا
وسيسمعنا سكان الشارع الثانى ، مرغمين ، سيندهشون لما نقول ويصدمون ،
سيقولون حتما : إننا مجانين أغماء ، لكننا لن نهتم لما يقولون بل سنرفع

أصواتنا عالية ونرقص .. ونرقص .. يشدني ساعدك القوى فأضع رأسي
على صدرك أشم رائحة رجولتك الفياضة ، أضمك الى وأترك يدك تضغط
على يدي الحائرة التي تبحث دوما عن مستقر • أنسى الوجود وأحلم ..

عندها تستشرق الشمس في حيننا بعد طول غياب • ستخضر الروابي شتاء
ربيعا ، ويعبق الورد في حدائقنا على مر الايام ونستطيع يومها أن نرحل
الصخور التي تسد طرقات شارعنا الكثيب • وأنت معي يدك الدافئة في يدي
وعيناك تتناجيان عيني ، حينئذ أقدر أن أعيش العمر كله أبتسم .. أبتسم
وأحلم .. ولن يهمني أبدا أن أفهم أو أتكلم •

حياة بن الشيخ

صدر لاعضاء نادي القصة

عن : الدار العربية للكتاب

<http://Archivebeta.Sakr.net> • عندما ينهل المطر

لعبد الرحمان عمار (ابن الواحة)

• البحر ينشر الواحه

لمحمد الصالح الجابري

• البعد الخامس

لعروسية النالوتي

• زمن الزخارف

لسمير العيادي

• في بيت العنكبوت

لمحمد الهادي بن صالح

بوراي عجيبة ماين سيديا ..

المارة في النهج الضيق يتزاحمون ، أصواتهم تنشاك مع أصوات الباعة المتجولين ، تعلو وتنخفض ، مدورة ، عريضة ، مصحوبة بسيل من البصاق الصابوني .

يتصاعد دخان رمادي رقيق من عربات ثابتة ، تكدست فوقها قمم صغيرة من السواك واللبان والند والبخور . ويمتد بالقرب من العربات زقاق قصير في آخره بوابة خضراء مفتوحة على حصيد ، وفي سقيفة ظليلة ، جلست عجوز مترهلة الجسم ، ملتحفة بملاء حمراء ، مخضبة الشعر بالحناء . ينام فسي حضنها طفل هزيل . وبالقرب منها جلست شابة نحيفة سمراء لابسة بنطلونا أزرق وماسكة بصنجق حريري أخضر .

وعلى الوجهين رسمت علامات الانتظار والقلق والرجاء . في ركن آخر من السقيفة تربع على زريبة ملونة شيخ بدين ، عظيم الشاربين ، منتفخ الاوداج ، في حزامه مجموعة من المفاتيح ، ناظرا الى مسبحة تتحرك في يده ومتمتما بصوت خافت .

نظرت صاحبة الشعر المخضب الى ابنها باشفاق . ثم حولت عينيها الى المسبحة مسترحمة ؟

- متى سيأتى ، يا سيدى ؟

- ... بسم الله ... الحمد لله .. إنه نائم فى غرفته ... وموعد الزيارة لما يحن .

- ولكن ابنى مريض .

- كل من يأتون الى هنا مرضى يرجون الشفاء ، والشفاء حاصل باذن الله ، وبركة سيدى « عمر الفياش » .

وتتضرع العجوز :

- يا سيدى عمر ... أنا بنيتك !

ويسود صمت طويل تقطعه صاحبة البنطلون :

- ما بك يا أماه ؟

- ابنى مريض والحليب جف من ثدى ، وأنا غريبة .

- لا تحزنى ... فبركة سيدى عمر عظيمة ، انظري الى حالتى !

لقد جثته محمولة على الأكتاف لبرد أصابنى فى رجلي فأخذ فى يده الكريمة حديدة حامية وكوانى بها فشفيت لحيى . وها إننى اليوم أرجع الى مقامه الشريف راجلة لأسدد الدين الذى وعدته به .

تنزلق نظرات القيم على الصنجق اللامع وتحول ببطء نحو السقف :

- كثيرون هم الذين جاؤوا مشلولين فرجعوا سالمين ، وعديدات هن اللواتى قدمن عانسات فخرجن ليتزوجن . ان بركة سيدى لعظيمة !

يفتح الطفل النائم عينيه ... تدغدغ أنفه ذبابة عنيدة ... ينظر الى الحائط حيث تدلى اطاران خشبيان أصفران كتب وسط أحدهما بخطوط سوداء غليظة « الصبر مفتاح الفرج » . ورسم وسط الآخر بألوان زاهية رأس الغول ، وقد شقه سيدنا « على » بسيفه .

تغمس الذبابة خرطومها فى مقلة الطفل فيعلو صراخه حادا متكسرا صاحبا كسكين قديمة ... يلعب فى عيني الشيخ بريق غضب كبداية اعصار ...

يرتعش شارباه ، وينظر الى العجوز موجه إصبعه نحو البوابة المفتوحة :

- لا تقلقى راحة المقيمين ... أما ان تسكتى ابنك واما ان تخرجى .

- إنه عطشان وليس لى ماء !!

وتفتح الفتاة الشاحبة فيها الجاف محتجة :

- هلا عطفت على هذا الملاك الصغير فرحمته بجرعة من ماء البشر !

- لا يشرب من مائه إلا سيدى « عمر » وأصحاب الغرف السبع ... هل معك شمع أو طعام أو نقود ؟

- إننى امرأة فقيرة ... أرملة ... مات زوجى تحت أنقاض المنجم ، وترك لى ستة أيتام .

- الحمد لله ... أستغفر الله !! الله أكبر !! إذن لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

وتفتح العجوز فيها المهدم الأركان لتضع فيه إصبعها من « النقة » بينما يواصل الطفل صراخه فتصيح الفتاة منفعة :

- ولكننا لسنا فى جوارك .. إننا فى جوار سيدك .

بصمت الجميع فجأة لدخول لحية سوداء كثيفة ونظارتين سوداوين وعصا بيضاء .. شاب مكفوف يتلمس الحائط بعصاه ويتجه نحو الشيخ المتربع :

- السلام عليكم !

تلمع كلماته براقه غريبة ... يحدق القيم فى الزائر الجديد ... تتجمد المسبحة فى يده ... يحاول الكلام . لكن الاصوات تظل فى حلقه حبيسة بيضاء :

- أين هو سيدك ؟

- وما حاجتك ؟

– سارحل اليوم بعيدا ، وأريد أن أقابله •

ترفع العجوز طرف الحصار الذى جلست عليه ••• تبصق ••• وترجعه
كما كان •••

تقلب الفتاة حاجبيها وتقول مستنكرة :

– ليس من العدل أن تسبقنا اليه ••• فنحن فى انتظاره منذ الصباح •
ويبتسم الشاب المكفوف :

– منذ الصباح ؟ أتركوكى أضحك ••• أه !! أه !! أه !! أتركوكى
أفقهه أه !! أه !! أه !! هه !!

وتتسع العيون والافواه • وتنقلب الجباه • وتحرك المسبحة بسرعة
كبيرة :

– أستغفر الله ••• أستغفر الله ••• أستغفر الله •••

– جئتم الى هنا تبحثون عن الصحة والسعادة ، جئتم تبحثون عن جوار
أمين ••• اليس كذلك ••• أتركوكى أضحك ••• أتريدون أن أقص
عليكم خرافة ؟

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

••• –

••• –

– أستغفر الله ••• أستغفر الله •

– فى سنوات الحرب الاخيرة أصابت شظية قنبلة رأس جندى كان فى
خط المواجهة فحمل الى المستشفى العسكرى ومنه نقل الى مستشفى الامراض
العقلية ، ثم برى، فخرج يطوف بالقرى يحكى قصصا تاريخية غريبة ويبيع
الاقوال المنمقة ويداوى الامراض المزمنة بالحشائش والرقى ، فذاع صيته ،
وحفظت أقواله • وتنبأ يوما لأحد الأثرياء بوجود جنين ذكر فى بطن زوجته
العاقرة فأوصى له الرجل ببعض ممتلكاته •

ومات الثرى فجأة بعد مدة قليلة ، فورث الولى مسكنا فخما ، أصبح بعد
ذلك مقاما يقصده الزوار من كل الجهات ، ويتبركون بصاحبه التقى الذى
يكشف عن مكان الشئ المفقود ، وينبئ بما فى بطن الحامل ، ويلفظ الحبز بعد

مضغه فتتخاطفه الصبايا والعانسات • إنها حكاية الرجل المجنون « عمر الفياش » • إنه خطير فاحذروه •

ولكن يهمس الشيخ يحذر :

— استغفر الله ... سيدى رجل وديع وموثوق الى الحائط بسلسلة حديدية •

وترتسم على فم الشاب ابتسامة صفراء تطول وتقصر حسب حالاته النفسية •

— ويحكى أيضا أنه سجن يوما وأغلق مقامه فى وجه الزوار لكن وجدوه نائما على سريره فى نفس ذلك اليوم والسلسلة فى رجليه •

وتردد العجوز مبتهجة :

— بركتك عظيمة يا سيدى !

ويواصل الشاب كلامه ونعلو فيه رغبة مزوجة بالتهكم والحنق :

— كم وعد من حامل أنها ستلد ذكرا فولدت أنثى ... وكم من عانس بعث فى طريقها زوجا سرعان ما طلقها ... وكم من مريض خاب مسعاه ؟ لقد انتهى عهد المعجزات والبركات والحوارق •

تقترب اللحية السوداء من الزربية ... تنزع اليد القوية المفاتيح من حزام الشيخ بمهارة كبيرة ... تضع أحدها فى قفل باب مغلق بدقة متناهية ... فيفتتح الباب المقابل للبوابة على مصراعيه ... وتغزو السقيفة أضواء تعمى العيون •

فى تلك اللحظة ، يندفع من الزقاق — فى لمح البصر — شبح طفل أسمر ، هزيل ، رث الثياب ، حاملا تحت إبطه صندوقا لمسح الاحذية وممسكا بيده قرطاسا أبيض متسخا • وتسمع فى الخارج غوغاء متعالية تقترب شيئا فشيئا :

« سارق ! سارق ! سارق ! ... »

يسد البوابة كهل بدين ، منتفخ البطن ، أحمر الوجه ، عريض الرقبة

والعرق يتصبب منه ... تنظر عيناه المنتفختان في أرجاء السقيفة ...
يصيح صوته الاسود الاحمر متسانلا :

- أين هو ذلك اللقيط ؟

تعلو الغوغاء ، ويتدفق من الزقاق رجال ونساء وأطفال وبنات في ازدحام
شديد ، متسانلين بأيديهم ورؤوسهم ... تغص بهم السقيفة ... تلفظهم
بهو واسع قد رمت شمس القيلولة اللهب بأشعتها الجهنمية على حيطانه ذات
الخطوط المعوجة والبياض الناصع .

ينظر البطن المنتفخ حائرا بعينين شبه مغمضتين الى الغرف السبع
الحضراء ثم الى البئر في الوسط ، وقد وضع على رخامته باهمال دلو موثوق
الى حبل قديم ... يمسح قطرات العرق بيده فتزلق على وجهه المحتقن
وتمتصها الارض المشبعة .

ويصل القيم مزجرا :

- اخرجوا من هنا ... لقد أقلقتم راحة القيمين وراحة سيدي .

ويعترض البطن المنتفخ محتجا :

- إنه سارق !

- من ؟

- الحشرة التي دخلت هنا منذ قليل .

- الحمد لله والله أكبر !!

ويصل المكفوف تقوده عصاه البيضاء :

- خيل الى مرور طفل في السادسة من عمره ... ولكنني أشتم رائحة
السرقة في هذا المقام .

تلمع عينا الوجه الاحمر ظفرا :

- إنه هو !! لن أخرج من هنا الا ويدي في رقبته الى أقرب مركز شرطة .
إنه سارق .

ويتساءل بعض الحاضرين عن السارق صائحين فتلفح نيران الشمس
أصواتهم :

– ماذا سرق ؟

– كسكروتا •

– لا بل دجاجة مصلية •

– لقد سرق حافظة نقود الرجل •

– لا بل اختطف ابنته •

– المهم أن في المقام سارقا •

وتتعالى الاصوات مبتسمة غاضبة :

– سنفتش عنه في كل الأرجاء •• لا بد أنه اختبأ في إحدى الغرف •

ويوجه المكفوف عصاه نحو غرفة كبيرة تدلت وسط بابها الاخضر حلقتان
صفراوان تعكسان خليطا من الألوان الساطعة :

– لا بد أنه في أكبرها حجما • وأفخمها مظهرا • وأنتنها رائحة •

ويتوسل القيم مسترحما :

– اتقوا الله ، يا عباد الله •• لا تفتحوا غرفته •• إنه وديع لا يرضى
العنف •• إنه مريض •

وبينما تفتح الفتاة الشاحبة ممرا بين المشاهدين لتتجه بالعجوز نحو البئر
– وصراخ الابن الحاد يصم الأذان – يهجم الحاضرون على الابواب يخلعونها
بأكتافهم ويخرجون منها كهولا وشيوخا تكسو بطونهم المنتفخة جباب حريرية
صفراء وتلوح لحياهم مخلوقة وعيونهم تلمع شبيعا وراحة •

ويتجه الكهل الباحث عن الطفل الى عؤلا، سائلا حاجته • فيحيط المتفرجون
بهم جميعا •• يتقدمون نحوهم خطوة خطوة تحاول الوجوه المنتفخة الافلات
الى الزقاق لكن تصل اليها آلاف الاصابع السمرراء •• تمتد اليها ••
تخمشها •• تلطمها •• تلكمها •• تمزقها تمزيقا •

وتتقاطر خيوط دم قانية سرعان ما تبتلعها الارض العطشى . يدق الشاب المكفوف بعصاه البيضاء على الباب الأخضر الكبير الذى تدلت وسطه حلقتان لماعتان .

- إننى أستم رائحة نتنه تنبعت كالجيفة من هنا .

وتتعالى صيحة واحدة من كل الافواه :

- أخرجوا السارق ! أخرجوا السارق

تمسك الفتاة الشاحبة الدلو ... تسقى الرضيع الباكي فينزل الماء رقراقا شفافا فى الفم الصغير . تزدرد الشفتان اللتان كانتا جافتين - منذ حين - الماء ازدرادا ... وتطير الذبابة فى الفضاء هاربة نحو الباب .

تفمس الفتاة طرف الصنجق فى الدلو ، وتمسح الوجه الملائكى ، فتبتسم حاضنته العجوز شاكرة ، وتخرج ثديها الكبير فتفسله وتلقمه لفم الرضيع المفتوح .

ينفتح الباب الكبير الأخضر للعصا البيضاء بدون أية مقاومة ويتعلق فى الساحة صمت مفاجئ رهيب كالعدم أو كال موت . تتراجع كل الوجوه الى الورا ... تنخفض العيون الحمراء ، وتتقطب الجباه السمراء أمام المشهد :

جسد « سيدى عمر الفياش » عار أبيض كالثلج ، مطروح على الارض لا يبدى حراكا . رأسه الرمادى الشعر موثوق بسلسلة تدلت من عنقه الى رجله فالى الحائط . عيناه الزرقاوان جاحظتان مسمرتان فى السقف حيث تدلت ثريا كبيرة ، وفمه مفتوح كالفضاء . وفى ركن من أركان الغرفة وقفت فتاة مبهوطة عارية لم تتجاوز ستة عشر ربعا ، تخفى ثدييها ووسطها بكلتا يديها .

« الولى » مطروح على زربية تناثرت عليها باهمال خواتم وقلائد براقه . . . يده اليمنى منغرزة فى عنق طفل شاحب يتنفس بصعوبة ويده اليسرى قابضة على جريدة مكورة ظهر منها كسكروت صغير .

ينزع الشاب المكفوف عن رقبة الطفل أصابع « الولي » الغليظة ... يسحب
عن الفراش الوحيد إزارين مطرزين يغطى بأحدهما الجسد الساكن ، ويستتر
بالآخر جسد الفتاة العاري ثم يخرج الى الحاضرين صائحا مدعورا :

« أيها الناس !! لا تنزعجوا !! مات عمر الفياش !! ومات معه
السراب .. »

وبينما تتعالى زغرودة في الفضاء يبدو القيم العجوز قابعا في ركن من أركان
الساحة يمسك رأسه بين يديه ويجهش باكيا منتحبا . وتتقطع مسبحته
فتتناثر حباتها على الأرض وتنزلق الواحدة اثر الاخرى نحو الباب . ويسمع
أنيبه خافتا متقطعا :

« .. سيدي مات !! مات !! مات سيدي .. !! »

بورأوى عجينة

تونس ديسمبر 1975

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قصص

اشترك فيها ، وعرف بها اصدقاءك

- ♦ تضمن لها الازدهار
- ♦ تساعدها على تجربتها الجديدة
- ♦ تشجع المساهمين في تحريرها